تَحْتَ القِنَاعِ المَكْسُور

مقدمة الرواية: إلى العابرين خلف الوجوه

لكل إنسان وجهان؛ وجهٌ يصنعه بيده ليواجه به العالم، يلوّنه بالابتسامات الزائفة، ويصقله بالهدوء المصطنع ليخفي خلفه الندوب... ووجهٌ حقيقي لا يراه أحد، يرتجف في الظلام، ويحمل الأسرار التي لو خرجت إلى النور لأحرقت كل شيء حولها.

في رواية "تحت القناع المكسور"، لن تقرأ مجرد حكاية عن الجريمة أو الغموض، بل ستدخل في لعبة مرايا معقدة، حيث لا يمكنك الثقة بأي ملامح تراها. الهدوء هنا فخ، والابتسامة قد تكون النصل الذي يطعنك في الظهر، والشخصية التي ستتعاطف معها في الفصل الأول، قد تكون هي نفسها التي ستطاردها في الفصل الأخير.

هذه الرواية كُتبت لأولئك الذين يملكون الفضول للنبش تحت السطح المستقر، والذين لا يخشون النظر إلى الشقوق الصغيرة التي يبدأ منها انهيار العوالم المثالية.

استعدوا.. فالعاصفة تقترب، والأقنعة على وشك أن تتحطم.

نصيحة او اهداء*

)«إلى الشَّبَاب..
إلى الذين يظنون أنهم يعرفون كل شيء عن الأشخاص الذين يشاركونهم الغرفة نفسها، أو الطاولة نفسها، أو العائلة نفسها..
إلى الذين يثقون بالوجوه الهادئة..
هذا الكتاب كُتب خصيصاً ليجعلكم تعيدون النظر في الجميع.»
إلى كل مَن يقرأ هذه السطور وهو يظن أنه آمن..
إلى الذين يبتسمون الآن في وجه أشخاصٍ يخططون لكسرهم في الخفاء..
إلى مَن يظن أن القناع الذي يرتديه لن يسقط أبداً..
لا تثق بالبدايات الهادئة، فالمقابر هي أكثر الأماكن صمتاً.»

هيبة آل زهران

هناك أماكن في هذا العالم لا تدخلوها إلا لتشعروا بالصغر، وقصر "آل زهران" كان على رأسها.

البهو الواسع يتنفس فخامة ملكية تأسر الأنفاس؛ أرضيات من الرخام الإيطالي الأسود النادر، صُقلت بعناية فائقة حتى أنها أصبحت كمرآة تعكس الضوء الدافئ المنبعث من ثريا كريستالية ضخمة تدور في السقف كتاج من الماس. الجدران مكسوة بخشب الجوز الفاخر، تفوح منها رائحة الثراء العتيق والقهوة الطازجة. كل زاوية في هذا المكان تنطق بالهيبة والنظام، وكأن الفوضى تخشى الاقتراب من هذه الإمبراطورية.

وسط هذه اللوحة الأسطورية، خلف مكتبه الضخم المصنوع من خشب الأبنوس، يجلس سيد المكان: "أدهم زهران".

في التاسعة والعشرين من عمره، يمثل أدهم ذروة لا يمكن أن يصل إليه رجل في شبابه. وسيم بدرجة لافتة، بملامح حادة ونظرات ثاقبة تنبض بالذكاء الحاد والكبرياء. يرتدي قميصاً أبيض ناصعاً يفصل كتفيه العريضين، ياقة محكمة، وساعة سويسرية فاخرة تلمع في معصمه. إنه ليس مجرد رجل أعمال ناجح، بل هو "الفتى الذهبي" للمدينة، الشاب العبقري الذي استطاع بإرادته الفولاذية وعقليته الفذة أن يقود شركات عائلته إلى قمة المجد. هدوءه ليس عادياً، بل هو وقار وهيبة تجبر الجميع على احترامه بمجرد دخوله أي مكان.

لكن، وسط هذا الكمال الباهر، كانت هناك تفصيلة واحدة غامضة: يد أدهم اليمنى كانت تقبض على القلم بقوة مفرطة جعلت مفاصل أصابعه تبيضّ، وعيناه الساحرتان لم تكن تركز على الأوراق، بل على مغلف أسود صغير استقر أمامه، مختوم بشمع أحمر مكسور يشبه ياقوتة قانية وسط هذا الثراء.

فجأة، قطع هذا السكون الفاخر رنين هاتف المكتب الأرضي. رنين قوي، واثق، كأنه يعلن بداية فصل جديد من القوة... أو المواجهة.امتدت أصابعه الطويلة بثبات نحو سماعة الهاتف الأسود العتيق. رفعها وضغطها على أذنه، دون أن ينطق بكلمة واحدة. لم يكن بحاجة للبدء بالحديث؛ فالملوك لا يلقون التحية أولاً، بل ينتظرون استماع ما لدى الآخرين. كان اشبه بالملاك على الأرض وسامته تفوق الأحلام

من الطرف الآخر، جاء صوت أجش، يرتجف بتوتر ملحوظ رغم محاولته الاصطناع بالتهديد:
— "أدهم زهران... أرى أنك استلمت هدية المساء. تلك الصورة داخل المغلف لرجل لا داعي لأصفه لك يا أدهم زهران
، لكنها كافية لتهديم هذا القصر الفاخر فوق رأسك ورأس عائلتك في ثوانٍ."

لم يتحرك رمش واحد في وجه أدهم. ظل يتأمل بقعة الشمع الأحمر المكسور ببرود قاتل، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة، ساحرة، وجذابة لدرجة مستفزة. ابتسامة تجعل من يراها يظن أن الرجل يملك العالم بين يديه، ولا يخشى أحداً.

أجاب بنبرة صوت رخيمة، هادئة، وواثقة هزت ثقة المتصل في الحين:
— "أنت مخطئ في العنوان يا هذا... آل زهران لا تُهدد بيوتهم بصورة، ومن تجرأ على كسر هذا الختم الأحمر، عليه أن يستعد لدفع ثمن الدم الذي يمثله."

أغلق السماعة ببطء وهدوء شديد، وكأنه أنهى مكالمة عمل روتينية ناجحة. لكن بمجرد أن استقرت السماعة في مكانها، تلاشت تلك الابتسامة الساحرة فوراً، وتحولت عيناه إلى قطعتين من الجمر الحارق.

.

سحب أدهم زفيرًا طويلًا، هادئًا، امتص به كل الغضب المشتعل في صدره ليعيد ترتيبه داخل زوايا عقله البارد. نظر إلى المغلف الأسود بنظرة ثاقبة لا تنتمي أبدًا إلى رجل أعمال تقليدي في التاسعة والعشرين من عمره، بل نظرة صياد يرى فريسته تقترب من الشرك وهو بكامل إرادته.

مد يده اليمنى، وبأطراف أصابعه الثابتة التي لا تهتز، التقط الصورة القابعة داخل المغلف.

كانت الصورة ليلية، مشوشة بعض الشيء، تلتقط زاوية لمستودع مهجور على أطراف الميناء القديم، تظهر فيها جثة رجل ملقاة على الأرض، وفوقها يظهر طيف شاب يحمل في يده سلاحًا كاتمًا للصوت، ملامحه غير واضحة تمامًا، لكن ساعة اليد السويسرية الفاخرة التي يرتديها الشاب كانت تلمع تحت ضوء البرق... وهي نفس الساعة التي تطوق معصم أدهم الآن.
لكن أدهم لم ينظر إلى الجثة، ولم ينظر إلى السلاح... بل تركزت عيناه على أقصى زاوية في الصورة، حيث ظهر انعكاس وجه الشخص الذي التقطها في زجاج مكسور على الأرض.

تحدث أدهم مع نفسه بصوت منخفض، نبرة تحمل وعيدًا مرعبًا كفيلًا بإنهاء حياة أحدهم:
— "لقد استغرقت سبع سنوات كاملة لتخرج من جحرك يا... سيادة المحقق."

ثم، وبحركة باردة، أخرج ولاعته الذهبية، وأشعل طرف الصورة وتركها تتآكل وتتحول إلى رماد داخل المنفضة الكريستالية، وهو يراقب النيران تلتهم وجه المحقق المنعكس في الزجاج.
تلاشت آخر شرارة من الصورة المحترقة لتتحول إلى كومة من الرماد الأسود البارد داخل المنفضة الكريستالية. وقف أدهم، وقام بتعديل ياقة قميصه الأبيض الناصع ببطء شديد، وعادت ملامحه إلى ذلك البرود الرخامي الساحر وكأن شيئاً لم يحدث.

ضغط على زر الإنتركوم اللاسلكي المثبت على زاوية مكتبه الأبنوسي، وتحدث بنبرته الهادئة والآمرة ذاتها:
— "مروان، ادخل إلى المكتب فوراً."

لم تمر سوى ثانيتين حتى فُتح الباب الخشبي الضخم، لكنه لم يُفتح بهيبة تليق بالقصر، بل بدفعة قوية ومفاجئة جعلت "مروان" (مساعده الشخصي وصديق طفولته) يدخل مترنحاً كأنه فَقَد السيطرة على مكابح قدميه. كان يحمل صينية فضية عليها كوب قهوة ساخن، وبضع حبات من البسكويت المجفف، ومجموعة ملفات ضخمة.

تعثر طرف حذاء مروان اللامع بطرف السجادة الإيرانية الثمينة، واهتزت الصينية في يده بشكل بهلواني. طار كوب القهوة في الهواء في مشهد سينمائي بطيء، ليسقط بكامل محتوياته الساخنة مباشرة... فوق الحذاء الإيطالي الفاخر لأدهم!

ساد صمت رهيب في أركان الغرفة. بندول ساعة الجد يتحرك برتابة (تك.. توك)، والمطر بالخارج يواصل النقر على الزجاج، وأدهم ينظر لأسفل نحو حذائه الغارق في القهوة المغلية دون أن يحرك عضلة واحدة في وجهه، بينما تجمد مروان في مكانه، محتضناً الصينية الفضية الفارغة بقمة الرعب كأنها درع واقٍ من الرصاص.

بلع مروان ريقه بصعوبة، ونظر إلى أدهم بابتسامة صفراء واسعة مستسلمة وقال بصوت متحشرج:
— "أوه... أدهم! انظر إلى الجانب الإيجابي... القهوة ساخنة جداً، وهذا يثبت أن الآلة الجديدة التي اشتريناها للمطبخ تعمل بكفاءة أسطورية! والخبر الأجمل؟ البسكويت لم يسقط على الأرض، لقد التقطته بقمة الرشاقة!"

رفع أدهم عينيه ببطء شديد نحو مروان، نظرة ثقيلة كفيلة بإيقاف الزمن، ثم قال بنبرة منخفضة ومخيفة:
— "مروان..."
— "نعم يا فخامة الرئيس؟ يا جبل ما يهزك ريح؟"
— "أمامك ثلاث ثوانٍ لتختفي من المدى البصري لعيني، وإلا سأجعل حذائي القادم يُصنع من جلدك الشخصي."

مروان لم ينتظر سماع الرقم "اثنين"؛ ألقى بالصينية الفضية على أقرب مقعد جلدي، والتف بسرعة البرق ليهرب، لكن بسبب ارتباكه الشديد وعجلته، اصطدمت جبهته بقوة مذهلة بالطرف السميك للباب الخشبي المفتوح جزئياً، ليدوي صوت ضربة جافة (طااخ) هزت أركان المكتب.

تراجع مروان للخلف ثلاث خطوات وهو يمسح جبهته التي تحولت فوراً إلى اللون الأحمر وعيناه تدمعان من شدة الألم، لكنه التفت إلى أدهم محاولاً الحفاظ على ما تبقى من كبريائه وقال:
— "الباب... الباب قوي جداً يا صاحبي، خشب زان أصلي، يحيي قطاع النّجارة الوطنية!" ثم فتح الباب وفر هرباً في الممر كأن إعصاراً يطارده.

تنهد أدهم بعمق، وسحب منديلاً قماشياً من جيبه وبدأ يمسح حذائه ببرود وهو يتمتم: "كيف أدير إمبراطورية بمليارات الدولارات، ولا أستطيع السيطرة على هذا المعتوه؟"

ألقى المنديل في سلة المهملات، والتفت نحو النافذة الضخمة يراقب أضواء المدينة وهي تتراقص خلف قطرات المطر. لقد حان الوقت ليبدأ تحريك أحجاره على رقعة الشطرنج، فالمحقق يظن أنه يملك يد السبق، لكنه لا يعلم أنه استدعى الوحش الخطأ.
الفصل الثاني: خطة مروان العبقرية

في صباح اليوم التالي، انقشعت غيوم الليل ليحل محلها طقس خريفي مشمس يحمل برودة خفيفة. تحول قصر "آل زهران" إلى خيالة من الحركة والنشاط الروتيني. الخادمون يتحركون بهدوء شديد، ورائحة خشب الأبنوس الملمع تمتزج برائحة الياسمين المنبعثة من الحديقة الشاسعة. كل شيء كان مثالياً وصارماً، كالعادة.

في مكتبه الفخم، كان أدهم يجلس خلف الطاولة، يرتدي بدلة رمادية داكنة صُممت له خصيصاً

في لندن، وقميصاً أسود يبرز حسم ملامحه. كان يراجع تقارير البورصة وعيناه تلاحقان الأرقام بدقة متناهية.

فجأة، طُرق الباب ثلاث طرقات خفيفة، إيقاعها يبدو غريباً ومترددًا.

دلف مروان إلى الغرفة ببطء شديد، خطوة بخطوة، وكان يرتدي نظارة شمسية سوداء داكنة جداً داخل المكتب المغلق، ويضع رقعة طبية بيضاء كبيرة وسط جبهته بسبب اصطدام البارحة بالباب. وقف أمام مكتب أدهم، وقام بتعديل سترته وحيا بيده بطريقة عسكرية مضحكة:
— "صباح الخير يا فخامة الزعيم. جئت لأبلغك أن حذاءك الإيطالي القديم قد تم إرساله إلى أفضل مركز صيانة في العاصمة، وهو الآن في غرفة العناية المركزة للجلود، والعلماء يقاتلون لإنقاذ ما يمكن إنقاذه."

لم يرفع أدهم عينيه عن الشاشة، لكنه قال بنبرة جافة:
— "انزع هذه النظارة الغبية يا مروان، نحن في الداخل والوقت صباحاً."

تنهد مروان بأسى، ونزع النظارة ليكشف عن عينين منتفختين من قلة النوم، ثم اقترب خطوة وهبط بصوته إلى نبرة مسرحية غامضة:
— "حسناً، لننسى الحذاء الآن ولنتحدث في العمل السري. لقد أمضيت الليلة بأكملها أبحث في سجلات كاميرات المراقبة المحيطة بالميناء القديم، وبفضل ذكائي الخارق، توصلت إلى معلومات ستجعلك تفخر بي!"

تحركت عينا أدهم ببطء نحو مروان. رغم محاولته الحفاظ على برودة، إلا أن فضوله تحرك لمعرفة ما إذا كان هذا المعتوه قد وصل فعلاً إلى خيط يخص المحقق. قال أدهم بصوت هادئ:
— "تكلم... ماذا وجدت؟"

عدّل مروان وقفته، وابتسم بانتصار، ثم أخرج من جيبه الداخلي مغلفاً صغيراً، ووضعه على المكتب بكل فخر وقال:
— "لقد رصدت الكاميرات سيارة مشبوهة كانت تقف بالقرب من المستودع المهجور في تلك الليلة قبل سبع سنوات. سيارة سوداء، زجاجها داكن، وتتحرك بريبة."

أمسك أدهم بالمغلف، وسحب الورقة التي بداخله بجدية شديدة، متوقعاً رؤية رقم اللوحة أو هوية السائق. لكنه عندما فتحها، وجد صورة مطبوعة بجودة رديئة جداً لسيارة صغيرة لتعليم القيادة، ويظهر خلف زجاجها رجل عجوز يرتدي نظارات طبية سميكة ويبدو مرعوباً.

تصلبت ملامح أدهم. نظر إلى الصورة، ثم نظر إلى مروان الذي كان ينتظر المديح وعيناه تلمعان بالبراءة.

قال أدهم بنبرة تكاد تنفجر من الغيظ الصامت:
— "مروان... ما هذا؟"
— "هذه هي السيارة المشبوهة! ألم تلحظ ذلك؟ الرجل يقود ببطء شديد في منطقة الميناء، وهذا دليل قاطع على أنه يراقب المكان!"

– "مروان... هذا رجل عجوز يتعلم القيادة، والسيارة مكتوب عليها بخط عريض 'شركة الأمان لتعليم السياقة'!"

اختفت ابتسامة مروان فجأة، وبلع ريقه، ثم حك مؤخرة رأسه وقال يحاول إنقاذ الموقف:
– "أوه... حقاً؟ لم أنتبه للكتابة... لكن فكر في الأمر، أليس هذا أفضل تمويه لجاسوس محترف؟ يتنكر في زي رجل عجوز غبي لكي لا يشك به أحد! واو... هذا المحقق أذكياء مما نتخيل!"

أطبق أدهم جفنيه، وأخذ نفساً عميقاً ليحافظ على بقايا عقله، ثم مزق الصورة ببطء وألقاها في السلة وقال بصوت منخفض يحمل تهديداً حقيقياً:
– "مروان، إذا لم تأتني بمعلومات حقيقية عن الشخص الذي أرسل المغلف الأسود خلال الأربع وعشرين ساعة القادمة، أقسم لك أنني سأرسلك لتعلم القيادة مع هذا العجوز في الميناء... بدون سيارة."شحب وجه مروان، وتراجع خطوة إلى الخلف وهو ينظر إلى سلة المهملات التي استقرت فيها صورته "العبقرية"، ثم قال بصوت متقطع:
– "بدون سيارة؟ أركض خلفه يعني؟ حسناً، حسناً.. لا داعي للأساليب القاسية. في الواقع.. أنا لم آتِ إلى هنا لأجلب لك الصورة فقط، بل أحضرت معي حلاً بديلاً ومضموناً بنسبة مئة بالمئة لحمايتك من أي تهديد خارجي!"

نظر إليه أدهم بطرف عينه، وهو يشعر بصداع خفيف يبدأ في التشكل خلف جبهته. سأل بنبرة خالية من أي أمل:
– "وما هو هذا الحل العبقري الآخر؟"

ابتسم مروان ابتسامة عريضة، والتف نحو الباب، ثم صفق بيده مرتين بقوة وقال بصوت جهوري: "أدخلوا الأمان إلى عرين الأسد!"

فُتح الباب الضخم، ودخل رجلان من الحراس الشخصيين للقصر، وهما يجران خلفهما شيئاً مغطى بقماش مخملي أحمر ضخم. استقر الشركاء في منتصف المكتب الفاخر، ثم تقدم مروان بخطوات واثقة، وسحب القماش بحركة مسرحية سريعة وهو يهتف: "تاداااا!"

انكشف الغطاء عن قفص حديدي ضخم، وداخله لم يكن نمرًا مرعباً ولا كلب حراسة شرساً.. بل كان كلبًا من فصيلة "الباغ" (Pug) الصغير جداً، يعاني من سمنة مفرطة، وعيناه الجاحظتان تتحركان في اتجاهين مختلفين، وكان يرتدي سترة جلدية سوداء صغيرة مرصعة بمسامير حديدية، ويصدر أصوات شخير عالية ومتواصلة (خخخففف.. خخخففف) كأنه محرك سيارة قديمة معطلة.

ساد صمت مطبق في المكتب. ساعة الجد البريطانية كانت تكتك، والكلب يشخر، وأدهم يحدق في هذا الكائن الصغير بملامح جامدة تماماً، بينما وقف مروان يمسح على القفص بفخر واعتزاز.

قال أدهم بصوت منخفض، وهو يحاول السيطرة على أعصابه:
– "مروان.. ما هذا الكائن الفضائي؟"
– "هذا ليس كائناً فضائياً يا أدهم! هذا هو 'العميل رعد'.. أقوى كلب حراسة وتتبع في السوق السوداء! لقد اشتريته بمبلغ خيالي من مهرب دولي لحمايتك!"

— "لحمايتي؟ هذا الكائن لا يستطيع حتى رؤية جبهته يا مروان، وعيناه تنظران إلى شرق وغرب الغرفة في آن واحد!"
— "هذا هو التمويه بحد ذاته!" هتف مروان بحماس، "المبتز عندما يدخل المكتب ويراه، سيظن أنه كلب غبي ولطيف، لكن في الحقيقة.. رعد يمتلك حاسة شم خارقة! انظر.."

اقترب مروان من القفص، وفتح الباب، وأخرج قطعة بسكويت من جيبه ورمى بها نحو أدهم لتسقط على المكتب. انطلق الكلب "رعد" بسرعة مذهلة بالنسبة لجسده السمين، وقفز فوق المقعد الجلدي الفاخر، ثم اندفع نحو مكتب الأبنوس، لكنه بدلاً من أن يأخذ البسكويت، تعثر بملف التقارير المالية لشركات آل زهران، وتزحلق عليه ليرتطم مباشرة بكوب الشاي الساخن الذي وضعه الخادم لأدهم قبل قليل!

انقلب الكوب، وسالت السوائل فوق أوراق البورصة والمناقصات بمليارات الدولارات، بينما استقر الكلب السمين في منتصف المكتب وهو يلعق وجه أدهم بلسانه الصغير ويصدر أصوات شخير دافئة (خخخففف.. خخخففف).

أغمض أدهم عينيه ببطء. لم يصرخ، ولم يغضب، بل ساد هدوء مرعب في المكان. سحب المنديل للمرة الثانية في ذلك الصباح، ومسح وجهه ببطء شديد، ثم نظر إلى مروان الذي انكمش جسده وأصبح يحاول الاختباء خلف الكرسي.

قال أدهم بنبرة شديدة الهدوء والبرود:
— "مروان.. أمامك دقيقة واحدة لتأخذ 'العميل رعد'، وتخرجا من هذا القصر. وإذا رأيت هذا الشيء يشخر في ممتلكاتي مرة أخرى.. سأطعمك أنت وهو لأسماك القرش في الميناء القديم."

مروان لم ينطق بكلمة؛ هجم على المكتب، التقط الكلب السمين تحت ذراعه كأنه حقيبة سفر، وركض نحو الباب وهو يصيح: "رعد تراجع! العميل في خطر! ألغوا العملية!"، واختفى في الممر تاركاً خلفه أوراقاً مبللة وصوت شخير يتلاشى ببطء.

التفت أدهم نحو النافذة، ونظر إلى السماء وهو يتمتم: "أنا زعيم.. أنا رجل أعمال.. أنا لا يجب أن أتحمل هذا."، لكن رغم غضبه، بدأت ملامحه تسترخي قليلاً، فوجود هذا المعتوه حوله كان الشيء الوحيد الذي يذكره بأنه ما زال بشرياً وسط عالم مليء بالأقنعة والمؤامرات.لفصل الثاني: الخيط المفقود في علبة السردين

لم تمر سوى ساعتين، حتى عاد مروان إلى المكتب. هذه المرة لم يدخل هربًا أو متعثرًا، بل تسلل بجسده من شق الباب بحذر شديد، وعيناه تلتفان يمينًا ويسارًا للتأكد من أن الكلب "رعد" ليس في المكان، وأن حذاء أدهم الجديد جاف تمامًا.

كان مروان يرتدي هذه المرة معطفًا جلديًا طويلاً يذكر بروايات التحري الكلاسيكية، ويحمل في يده كيسًا ورقيًا بنيًا تفوح منه رائحة غريبة وقوية جداً.

نظر إليه أدهم بطرف عينه، ووضع قلمه على الطاولة ببطء، ثم قال بنبرة مستسلمة:
— "مروان... ما هذه الرائحة؟ هل أحضرت كائنًا فضائيًا آخر؟"

تقدم مروان بخطوات مسرحية بطيئة، ثم جلس على المقعد المقابل للمكتب، ووضع الكيس الورقي بوقار شديد، وهبط بصوته إلى طبقة غامضة وهمس:
— "هذه يا صديقي... رائحة الحقيقة العارية! انسى أمر الكلب، وانسى أمر سيارة التعليم. ليلة أمس، بعد أن غادرت الميناء القديم، عدت إلى هناك متنكرًا في زي صياد سمك بائس، وبدأت أنبش في محيط المستودع رقم 7."

رغم أن أدهم كان يعلم أن مروان يرتكب الكوارث دائمًا، إلا أن ذكر "المستودع رقم 7" بدقة جعل حواسه تتأهب. نظر إلى الكيس وسأل:
— "وماذا وجدت في المستودع؟"

فتح مروان الكيس بكل فخر، وأخرج منه... علبة سردين معدنية قديمة، صدئة، ومفتوحة جزئيًا، ثم وضعها فوق مكتب الأبنوس الفاخر مباشرة!

تصلبت ملامح أدهم، ونظر إلى العلبة الصدئة المقززة التي بدأت رائحتها الزفرة تنتشر في المكتب الفاخر، ثم رفع عينيه الحادتين نحو مروان وقال بنبرة هادئة تعد بالقتل:
— "أنت تمزح معي... صح؟ علبة سردين؟"

— "تمهل ولا تحكم على الكتاب من غلافه يا أدهم!" هتف مروان واثقًا وهو يشير بإصبعه إلى العلبة، "هذه ليست علبة سردين عادية! هذه العلبة كانت ملقاة خلف حاوية القمامة الملاصقة تمامًا للمستودع. عندما فحصتها، لاحظت شيئًا غريبًا... تاريخ الإنتاج المكتوب عليها يعود إلى سبع سنوات مضت! نفس الليلة المشؤومة!"

أخذ أدهم نفسًا عميقًا وضغط على فكه يحاول السيطرة على أعصابه:
— "مروان، الميناء مليء بعلب السردين والقمامة منذ مئة عام. ما علاقة هذا بالمحقق؟"

— "العلاقة هنا!" سحب مروان ملقطًا طبيًا من جيبه بغباء مضحك، وأدخله داخل علبة السردين الصدئة، ثم سحب من عمقها قطعة ورق صغيرة جداً مطوية ومبللة بالزيت، ووضعها على منديل نظيف وقال بجدية مفاجئة: "المحقق لم يكن يراقبك فقط يا أدهم... كان هناك شخص آخر يراقبه هو أيضاً. هذه الورقة كانت مخبأة داخل العلبة لحمايتها من المطر، وهي تحتوي على رقم هاتف مكتوب بخط اليد، وتحته جملة واحدة: 'الهدف تحت المراقبة... انتظر الإشارة'."

تغيرت نظرة أدهم في ثانية واحدة. تلاشت ملامح السخرية، وتحولت عيناه إلى الصرامة الحادة. مد يده وسحب الورقة المبللة بالزيت، وتأمل الخط. لم يكن خط المحقق، بل كان خطًا يعرفه أدهم جيدًا... خط شخص قريب جدًا من عائلة زهران.

نظر أدهم إلى مروان، ولأول مرة منذ سنوات، ابتسم ابتسامة حقيقية، لكنها كانت ابتسامة مرعبة مليئة بالوعيد. قال بصوت رخيم:
— "مروان..."
— "أعلم، أعلم... سأخذ علبة السردين وأموت من أمامك..."
— "لا..." قاطعه أدهم وهو يضع الورقة في جيبه، "لأول مرة في حياتك... لقد قمت بعمل ممتاز."

اتسعت عينا مروان من الصدمة، وقام من مقعده بحماس كأنه طفل نال مكافأة، وعدّل ياقة معطفه الطويل وقال بفخر أهبل:
— "أرأيت؟ المحقق المحترف مروان لا يخيّب الظن أبدًا! والآن، وبمناسبة هذا النجاح الساحق... هل يمكنني إعادة 'العميل رعد' إلى القصر؟ لقد تركته في السيارة وهو يشعر بالاكتئاب الحاد!"

أشار أدهم بأصبعه نحو الباب دون أن ينطق بكلمة، ففهم مروان الإشارة فورًا، وجمع كيسه وعلبة السردين وركض خارجًا وهو يغني بانتصار، تاركًا أدهم يغرق مجددًا في حساباته المعقدة بعد أن ظهر لاعب جديد في اللعبة.لم تكن خيوط اللعبة بحاجة إلى وقت طويل لتتشابك؛ فالرقم المكتوب على الورقة المبللة بالزيت لم يكن لشخص غريب. بعد ساعات من الفحص الصامت الذي أجراه أدهم بنفسه، تبين أن الرقم يعود إلى هاتف سري يمتلكه شخص يشاركهم القصر ذاته، شخص يتناول معهم الطعام على الطاولة نفسها كل يوم: "العم طارق زهران".

طارق، الشقيق الأصغر لوالد أدهم الراحل، هو الرجل الذي يرتدي دائماً قناع الحكمة والوقار، ويمشي بخطوات بطيئة مستنداً على عصاه الأبنوسية ذات المقبض الفضي، مدعياً المرض والزهد في أموال العائلة، بينما هو في الحقيقة ينتظر اللحظة المناسبة لابتلاع كل شيء.

في تمام الساعة الثامنة مساءً، كان بهو الطعام الرئيسي في القصر يشع بضوء الثريات الخافت. المائدة الطويلة المصنوعة من خشب البلوط الثمين مليئة بأفخر أنواع الأطعمة، والفضيات تلمع برقيّ يسرق الأبصار.

جلس أدهم عند رأس المائدة بكامل هيبته ووقاره، بينما كان العائد الاقتصادي والمالي طارق يجلس على يمنه، يقطع قطعة اللحم ببطء شديد ويتحرك بوقار مصطنع.

وفجأة، دلف مروان إلى الصالة. ولأنه مروان، كان يجب أن يدخل بطريقة تكسر هذا الوقار القاتل؛ كان يرتدي بدلة رسمية ضيقة جداً جعلته يمشي كالبطريق، ويحمل في يده زجاجة مياه غازية فوارة. تعثر بطرف الكرسي، واهتزت الزجاجة في يده لتنطلق منها نافورة من الغازات الطائرة وتستقر مباشرة... فوق الشارب الأبيض العريض والوقور للعم طارق!

توقف طارق عن الأكل تماماً، وسالت قطرات المياه الغازية من شاربه ونزلت على لحاف عنقه الفاخر. ساد صمت مرعب، بينما وقف مروان ينظر بذهول والزجاجة فارغة في يده، ثم قال بابتسامة غبية:
— "أوه... عمي طارق! انظر إلى الجانب المشرق.. وجهك يبدو منتعشاً جداً الآن، والفقاعات تعطي لمعاناً رائعاً لشاربك الوقور! إنه علاج طبيعي للبشرة، مجاني تماماً!"

نظر طارق إلى أدهم بعينين يتطاير منهما الشرر وقال بصوت حاد:
— "أدهم! كيف تتحمل هذا المعتوه في قصرنا؟ إنه يفسد هيبة العائلة في كل ثانية!"

أشار أدهم لمروان ببرود يطلب منه الخروج، فانسحب مروان بسرعة وهو يتمتم بكلام غير مفهوم عن حساسية البشرة. سحب أدهم منديلاً وقدمه لعمّه ببطء، ثم قال بنبرة هادئة ورخيمة هزت أركان المائدة:

— "المعذرة يا عمي.. مروان متهور، لكنه أحياناً يجد أشياء مفيدة جداً أثناء تنقيبه في الأماكن القذرة... مثل علب السردين القديمة في الميناء رقم 7."

توقف طارق عن مسح شاربه فوراً. تجمعت الدماء في عروق يده التي تقبض على المنديل، وشحب وجهه في ثانية واحدة كأنه رأى شبحاً. نظر إلى أدهم بعينين مضطربتين يحاول إخفاء رعشتهما وقال بتلعثم:
— "الميناء؟ ما الذي يتحدث عنه هذا الصبي؟"

ارتسمت على شفتي أدهم تلك الابتسامة الساحرة والمستفزة، وقال ببرود قاتل:
— "لا شيء يا عمي... مجرد ذكريات قديمة عمرها سبع سنوات، ظن البعض أنها دُفنت، لكن يبدو أن الرماد بدأ يشتعل مجدداً."انسحب العم طارق من مائدة ،
الطعام بحجة التعب، وعيناه تملأهما ريبة قاتلة. عاد أدهم إلى مكتبه، وجلس يراقب بهدوء تلك الورقة المبللة بالزيت.

فجأة، طُرق الباب بطريقة إيقاعية غريبة: ثلاث طرقات سريعة، ثم صمت، ثم طرقتان خفيفتان.

— "ادخل يا مروان، وتوقف عن تشفير الطرقات." قال أدهم دون أن يرفع رأسه.

فُتح الباب، ودخل مروان بخطوات ثابتة وواثقة جداً، لم يتعثر ولم يسقط منه شيء. لكنه كان يرتدي تحت سترته الرسمية قميصاً غريباً مرصعاً بقطع مغناطيسية صغيرة، ويحمل في يده بخاخاً بلاستيكياً شفافاً مليئاً بسائل بنفسجي اللون.

نظر إليه أدهم بريبة، وسند ظهره إلى المقعد الجلدي وقال:
— "حسناً... أرى أنك تمشي بشكل مستقيم اليوم. ما خطب هذا الزي الغريب؟ وما هذا الشيء في يدك؟"

تقدم مروان بوقار شديد، ورش رشة من البخاخ في هواء المكتب، فانتشرت رائحة نفاذة تشبه خليطاً من الثوم والنعناع الفاسد. كحّ أدهم بضيق، بينما قال مروان بجدية تامة:
— "هذا يا صديقي هو 'سائل طرد الطاقات السلبية والمخبرين'. لقد اكتشفت أن المحققين لا يخترقون الحصون بالأسلحة، بل بالحسد والطاقة المغناطيسية! لذلك وضعت هذا المغناطيس حول جسدي ليعكس موجات التجسس، وهذا البخاخ يحتوي على ماء مقروء عليه تعاويذ من التبت لطرد الأرواح الخبيثة وعيون الأقارب.. وتحديداً عيون عمك طارق!"

تنهد أدهم، وفرك جبينه محاولاً استيعاب هذه الفاكهة الجديدة من الغباء وقال ببرود:
— "مروان، عمي طارق كاد يموت سكتة قلبية بسبب كلمة 'الميناء'، وليس بسبب بخاخ الثوم والنعناع الخاص بك. هل تتبعت الرقم؟"

عدّل مروان وضعية المغناطيس على صدره وقال باعتزاز:
— "بالطبع تتبعته! وبما أنني أصبحت خبيراً في الماورائيات، فقد علمت أن الرقم السري لعمك مسجل باسم مستعار غريب جداً في شركة الاتصالات."

— "ما هو الاسم؟" سأل أدهم بجدية.

— "مسجل باسم... 'أبو فهد لتجارة الأعشاب وتفسير الأحلام'!" هتف مروان ووجهه يشع بالذكاء، "لقد اتصلت به قبل قليل من هاتف عام، وغيرت نبرة صوتي لتبدو كإمرأة عجوز، وقلت له: يا أبا فهد، لقد حلمت أنني أرى قناعاً مكسوراً وعلبة سردين، فما التفسير؟"

تصلبت ملامح أدهم تماماً، ونظر إلى مروان بعينين متسعتين من الصدمة:
— "أنت... أنت اتصلت به وقلت له هذا الكلام الحرفي؟"

— "نعم!" قال مروان بفخر أهبل وهو يرش رشة أخرى من البخاخ في الهواء، "والرجل أصيب بالرعب وأغلق الخط فوراً! هذا يثبت شيئين يا أدهم: أولاً، أن عمك طارق لا يفقه شيئاً في تفسير الأحلام. وثانياً، أنه خائف جداً من عالم الأرواح! لقد قمت بخلخلة أمنه النفسي بنجاح!"

أمسك أدهم بقلمه الخشبي وضغط عليه حتى كاد يكسره، وهو لا يعرف هل يضحك على هذه الطريقة المجنونة في التحقيق، أم يطلق النار على مروان لأنه كشف الخيط للمجرم. لكنه أدرك أن غباء مروان اللامحدود تحول إلى أفضل سلاح تمويه؛ فالعم طارق الآن لن يظن أبداً أن هناك شبكة مافيا تطارده، بل سيظن أن هناك ساحرة عرافة أو مجنوناً يبتزه!

قال أدهم بصوت هادئ ومحذر:
— "مروان... إذا اتصلت بأبو فهد لتفسير الأحلام مجدداً، سأجعل حلمك القادم هو السقوط من الطابق العاشر بدون مظلة. والآن، خذ مغناطيسك واخرج، فالرائحة هنا أصبحت كافية لطرد البشر وليس الأرواح فقط."
ينم العم طارق ليلته تلك. كان جالسًا في جناحه الفخم، يرتجف كلما تحركت ستارة بفعل الهواء، ويعيد سماع صوت "المرأة العجوز" الغامضة في الهاتف وهي تسأله عن "تفسير حلم القناع وعلبة السردين". الخوف من الماورائيات والذنوب القديمة تغلغل في عظامه، وظن أن لعنة الميناء القديم قد عادت لتنتقم منه عبر قوى خفية.

في الصباح، كان أدهم يرتشف قهوته في بهو القصر عندما نزل العم طارق وعيناه محاطتان بهالات سوداء من قلة النوم، وكان يحمل في يده حرزاً قماشياً غريباً اشتراه على عجل من أحد الدجالين لحمايته.

وفي تلك اللحظة بالذات، ظهر مروان.

لم يتعثر اليوم، بل كان يمشي بخطوات هادئة، يرتدي عمامة هندية ضخمة ملونة فوق رأسه، ويحمل في يده حقيبة دبلوماسية صغيرة. جلس على الطاولة بجانب أدهم، ونظر إلى العم طارق بنظرة ثاقبة ودرامية للغاية، ثم قال بصوت منخفض وعميق:
— "صباح الخير يا قوم. عمي طارق... أرى أن هالتك المغناطيسية اليوم تميل إلى اللون الرمادي الباهت. هناك طاقة غدر تحيط بك، ونجمك في برج العقرب يمر بمرحلة انكماش وتصحر!"

بصق العم طارق القهوة من فمه من شدة الصدمة، ونظر إلى مروان برعب حقيقي وهو يمسك بحرزه القماشي وقال بصوت مرتعش:

— "أنت... كيف عرفت؟ هل أنت من أرسل العجوز؟ هل تعرف شيئاً عن أحلام السردين؟"

عدّل مروان عمامته الضخمة بكل وقار، وفتح حقيبته الدبلوماسية ليخرج منها... بندولاً نحاسياً معلقاً بخيط، وبدأ يلوح به أمام وجه العم طارق ليتأرجح يميناً ويساراً، ثم قال بجدية تامة:
— "المناداة بالماضي لا تفيد يا عمي. البندول يخبرني أنك قلق بشأن... شيء مدفون تحت الماء! الطاقة لا تكذب، والنحاس يشعر بذبذبات المذنبين!"

تصلبت ملامح طارق تماماً، وظن أن مروان ليس مجرد مساعد غبي، بل هو ساحر عليم أو وسيط روحي أرسلته قوى مجهولة لكشف حقيقته. قام طارق من الطاولة وهو يصرخ ممتعضاً: "هذا البيت ملعون! أنتم مجانين!"، وركض نحو جناحه ليغلق على نفسه الباب بالمفاتيح السبعة.

التفت أدهم نحو مروان، وكانت عيناه تحملان خليطاً من الذهول والضحك الصامت على هذا المشهد الهستيري. سحب أدهم البندول النحاسي من يد مروان وقال ببرود:
— "مروان... من أين لك هذا الدجل؟"

ابتسم مروان بفخر أهبل ونزع العمامة الضخمة وقال:
— "لقد اشتريته بخمسة دولارات من متجر للألعاب! أرأيت يا أدهم؟ بارانويا الخرافات جعلت عمك يعترف تقريباً بكل شيء دون أن نرفع في وجهه مسدساً واحداً! الجيل الجديد من التحقيق يعتمد على التلاعب النفسي والروحي!"لم يبتسم أدهم طويلاً؛ فالخوف الحقيقي الذي رآه في عيون عمه طارق كان أعمق بكثير من أن تصنعه خرافة بندول نحاسي. هناك سر قذر يربط طارق بالميناء القديم وبالمحقق، وأدهم لا يطيق الانتظار.

في منتصف الليل، ساد القصر هدوء حذر، لا يقطعه سوى صوت المطر الذي عاد ليركض على النوافذ. خرج أدهم من مكتبه وتوجه بخطوات صامتة نحو جناح عمه طارق ليجبره على الاعتراف الكامل.

دفع أدهم الباب الخشبي الثقيل ليجده مواربا... وداخل الغرفة، كان الظلام دامساً إلا من خيط ضوء هارب من البرق بالخارج.

"عمي طارق..." نطق أدهم بنبرته الرخيمة.

لم يأته رد. تقدم خطوة، لتطأ حذاؤه الإيطالي الجديد بركة سائلة لزجة. انحنى أدهم، ولمس السائل بأطراف أصابعه... كان دماً دافئاً.

على مقعده الجلدي، كان العم طارق مستنداً برأسه إلى الخلف، وعيناه جاحظتان برعب تجمد في لحظته الأخيرة. وفي منتصف صدره، استقرت رصاصة واحدة دقيقة اخترقت قلبه مباشرة؛ عمل محترف تم بسلاح كاتم للصوت.

في تلك اللحظة، لَمَحَ أدهم عبر النافذة طيفاً يرتدي معطفاً مطرياً داكناً، يركض بخفة وثبات بين أشجار الحديقة السفلية متجهاً نحو الأسوار الخلفية للقصر.

هبوط الأقنعة تحت المطر

انطلق أدهم كالفهد. نزل السلالم بقفزات سريعة، ودفع بوابات القصر متجاهلاً الحراس، واندلع تحت المطر الغزير يقتفي أثر الخطوات على العشب المبتل، حتى حاصر الطيف عند البوابة الحجرية القديمة للممر الخلفي.

وجه أدهم مسدسه بثبات نحو ظهر الرجل، ونطق بوعيد يملأه الغضب الصامت:

— "التفت ببطء... وانزع قناعك قبل أن أفرغ الرصاص في رأسك."

تحرك الطيف بهدوء برود. التفت، وسحب غطاء المعطف المطري عن رأسه.

لمع برق خاطف في السماء، ليضيء الوجه... وتجمدت الدماء في عروق أدهم.

مروان.

لكنه لم يكن مروان الذي تعثر بالباب البارحة. اختفت نظرة البراءة، وتلاشت الروعة الطفولية. الملامح الحالية كانت حادة كالنصل، والعيون باردة كجليد الشتاء. وتغير صوته تماماً؛ تلاشت النبرة المضحكة، وخرج صوته عميقاً، رخيماً، وواثقاً... هو نفس الصوت الأجش الذي هدد أدهم عبر الهاتف الأرضي في الفصل الأول.

— "أدهم زهران..." قال مروان وهو ينفض قطرات المطر عن كتفه، "أرى أنك استجبت لإشارة المساء بسرعة. لولا علبة السردين، لما كنت هنا الليلة."

أدهم (يده لم تهتز، لكن عقله يدور في ذهول صاعق):

— "مروان؟... كل هذا السيرك؟ كل تلك السنوات من الغباء المصطنع؟"

ارتسمت على شفتي مروان ابتسامة خفيفة، ساحرة ومستفزة، وهي نفس الابتسامة التي كان أدهم يظن أنه الوحيد الذي يتقنها:

— "ألم تقرأ الإهداء الذي كتبته بيدك في مقدمة كتابك يا ابن عمي؟ 'إلى الذين يظنون أنهم يعرفون كل شيء عن الأشخاص الذين يشاركونهم الطاولة نفسها'... لقد شاركتك الطاولة، والمكتب، وسخرية حذائك المبتل بالقهوة لسبع سنوات كاملة. العباقرة أمثالك يسقطون دائماً بسبب كبريائهم. لو تصرفتُ أمامك كذكّي، لشككت بي في ثوانٍ... لكنني أعطيتك 'مغفلاً' تضحك عليه، لتنام ملء جفونك، بينما أتحرك أنا في جحيمك."

أدهم (وعيناه تتحولان إلى جمر حارق):

— "والكلب 'رعد'؟ وعلبة السردين؟ وبخاخ الثوم؟"

مروان (يضحك بنبرة خفيضة ثاقبة):

– "الكلب رعد أخذ ملفات البورصة المبللة لكي أنسخ صفقات عائلتك لشبكتنا دون أن تلاحظ نقص ورقة واحدة. وبخاخ الثوم وبندول الدجل جعلا عمك طارق ينهار نفسياً لكي يسهل عليّ تصفيته الليلة بعد أن انتهى دوره. وعلبة السردين؟ أنا من وضعتها هناك لأقودك إليه. كل حركة غبية قمتُ بها، كانت حجراً مدروساً بدقة على رقعة الشطرنج لخلخلة حصونك."

أدهم: "من أنت حقاً؟"

تقدم مروان خطوة إلى الأمام، ولمع البرق ليظهر ساعة يد سويسرية فاخرة في معصمه... مطابقة تماماً للساعة التي يرتديها أدهم، ومطابقة للساعة التي لمعت في صورة الجريمة القديمة.

مروان (بهمس مرعب):

– "أنا لستُ مساعدك. أنا المحقق الذي تركته خلفك في المستودع رقم 7 قبل سبع سنوات يسبح في دمه بعد أن ظننتَ أنك قتلته... أنا الشخص الذي سلبته عائلتك كل شيء، وجئت الليلة لأستعيد الإمبراطورية. وصوت إطلاق النار الذي سمعته في جناح طارق؟ لم يكن من مسدسي... بل تم تسجيله وإرساله مباشرة للشرطة كدليل قاطع على أنك قتلت عمك الليلة لتخفي جريمتك القديمة."

انطلقت صافرات إنذار الشرطة من بعيد، تقترب بأضوائها الحمراء والزرقاء لتقطع عتمة الممر، بينما وقف أدهم ومروان وجهاً لوجه تحت المطر... في لعبة قمار أخيرة، حيث انكسرت الأقنعة، ولم يعد هناك مجال للثقة بأي ملامح.مع دخول سيارات الشرطة من البوابة الرئيسية، يدرك أدهم أنه إذا تم القبض عليه بجانب جثة عمه ومع وجود هذا التسجيل الصوتي، فسينتهي أمره. فجأة، يلتفت إلى مروان ويتحول الغضب إلى برود قاتل، وبدلاً من إطلاق النار، يستغل أدهم معرفته الدقيقة بمخابئ القصر السرية، ويهرب عبر ممر تحت الأرض تاركاً مروان والشرطة خلفه، لتبدأ رحلة أدهم كـ "هارب من العدالة" يخطط للانتقام وتطهير اسمه.... في لعبة قمار أخيرة، حيث انكسرت الأقنعة، ولم يعد هناك مجال للثقة بأي ملامح.

دارت الدنيا في رأس أدهم لثوانٍ معدودة، لكن ملامحه لم تهتز. كانت صافرات الشرطة تقترب كإعصار يوشك على اقتلاع كل شيء، ومروان يقف أمامه مستمتعاً بانتصاره، واثقاً أن أدهم قد سُجن داخل خطته المحكمة.

نظر أدهم إلى مسدسه، ثم رفع عينيه نحو مروان، وبدلاً من أن يثور أو تسيطر عليه الصدمة، تلاشت ملامح الغضب من وجهه تماماً، وحلّ محلها ذلك البرود الرخامي القاتل. ارتسمت على شفتيه ابتسامته الساحرة والمستفزة ذاتها وقال بنبرة هادئة هزت ثقة مروان:

– "لقد أبدعت في دور المغفل لسبع سنوات يا مروان... لدرجة أنك نسيت مع من تلعب. أنت درست ملفات عائلتي، لكنك لم تدرس تاريخ هذا القصر جيداً."

انعكست أضواء الشرطة الأولى على الأشجار المحيطة بهما، وقبل أن يستوعب مروان الجملة،

التفت أدهم بخفة مذهلة نحو الجدار الحجري القديم للممر الخلفي، وتحديداً نحو كتلة صخرية بركانية سوداء كانت مخفية تماماً بين شقوق اللبلاب المبتل بالمطر.

مد أدهم يده اليمنى الثابتة، وضغط بقوة على الصخرة المخفية.

دوى صوت احتكاك ترزي مكتوم، وانزلق جزء من الجدار الحجري ببطء ليفتح شقاً عريضاً ينحدر إلى ممر مظلم وسري تحت الأرض؛ مخرج الطوارئ القديم لآل زهران، الذي صُمم قبل عقود للأزمات العائلية الكبرى، والذي لا يعرف بوجوده أحد سواه.

اتسعت عينا مروان بصدمة حقيقية، واختفت ابتسامه الواثقة لأول مرة منذ سبع سنوات. اندفع للأمام محاولاً الإمساك بأدهم قبل أن يفلت من قبضته، لكن أدهم كان أسرع؛ ألقى بجسده داخل الفجوة الصخرية، وضغط على زر الإغلاق الداخلي بعزم.

(طاااخ!)

انطبق الجدار الحجري الثقيل بعنف، ليعود الجدار كما كان، صخرة صماء تحت المطر، تاركاً مروان في الخارج وحيداً في مواجهة سيارات الشرطة التي اقتحمت المكان في تلك الثواني.

في الداخل، ساد ظلام دامس وبرودة شديدة، لا يقطعها سوى صوت أنفاس أدهم المتلاحقة ووقوع قطرات الماء من السقف الصخري. سحب أدهم من جيبه ولاعته الذهبية، وأشعلها ليتراقص ضوؤها الأصفر على الجدران الضيقة، مسح وجهه المبتل من المطر، وتمتم ونظراته الحادة تشتعل برغبة عارمة في الانتقام:

— "اللعبة لم تنتهِ بعد يا سيادة المحقق... لقد أخرجتني من قصري، لكنك أطلقت سراح الوحش في مدينتك. من الآن فصاعداً، لن أحتاج إلى قناع رجل الأعمال... سأكون الكابوس الذي صنعته بيدك."

تحرك أدهم بخطوات ثابتة وقوية داخل الممر المظلم الذي يقوده إلى أنفاق المدينة القديمة، تاركاً خلفه إمبراطوريته لتبدأ رحلته الجديدة... هارب من العدالة، يخطط لتطهير اسمه وسحق قناع مروان إلى الأبد.كان الممر السري يضيق كلما توغل أدهم في باطنه، ورائحة الرطوبة والعفن تمتزج برائحة بارود تلك الرصاصة التي أطلقها مروان في الخارج لتستقر في الصخر. لم يكن أدهم يركض خوفاً من الشرطة، بل كان يمشي بخطوات واثقة، وئيدة، وإيقاعية، كمن يسير في روق مألوف لديه.

ضوء الولاعة الذهبية كان ينعكس في عينيه، ليظهر لمعاناً غريباً... لمعاناً لم يكن ينتمي أبداً إلى رجل أعمال خسر إمبراطوريته، بل إلى صياد عاد أخيراً إلى غابته المفضلة.

بعد نصف ساعة من السير الصامت، انتهى الممر ببوابة حديدية صدئة. دفعها أدهم بكتفه العريض لتفتح على قبو واسع، يقع أسفل مستودع قديم مهجور في أطراف المدينة—مكان معزول تماماً، لم تطأه قدم إنسان منذ سنوات.

أشعل أدهم الضوء، لتنار الغرفة بوهج خافت كشف عن وجهه الحقيقي؛ الوجه الذي خبأه خلف الابتسامات الزائفة والبدلات اللندنية الفاخرة.

لم يكن القبو مكاناً للاختباء... بل كان المسلخ الشخصي لأدهم زهران.

على الجدران الخرسانية، كانت هناك خطاطيف حديدية معلقة، وأدوات حادة ومصقولة بعناية فائقة تلمع تحت الضوء الخافت، وطاولة معدنية ضخمة في المنتصف تنبض برائحة الموت والدم الجاف. وفي الزاوية البعيدة، لوحة خشبية كبيرة مثبت عليها صور لضحاياه السابقين...عدله أشخاص اختفوا من المدينة طوال السنوات السبع الماضية دون أن يتركوا أثراً، وكان الجميع يظن أنهم سافروا أو هربوا، بينما كانوا في الحقيقة فصولاً منسية في كتاب أدهم الأسود.

مروان كان يظن أنه يطارد رجل أعمال فاسد يمكن إسقاطه بملفات البورصة والقانون، ولم يكن يعلم أنه تجرأ على النبش خلف قناع أشرس سفاح عرفته المدينة بدم بارد. الجريمة في المستودع رقم 7 قبل سبع سنوات لم تكن تصفية حسابات... بل كانت بداية الشغف.

نزع أدهم سترته الرمادية المبتلة ببطء، وألقاها على الأرض دون اهتمام. توجه نحو الطاولة المعدنية، ومرر أصابعه الطويلة على نصل سكين حاد، ثم نظر إلى انعكاس وجهه في المعدن المصقول، وارتسمت على شفتيه ابتسامه هادئة، دافئة، ومرعبة جداً.

تحدث مع نفسه بصوت رخيم يحمل وعيداً يزلزل القلوب:

— "لقد أغلقتَ القصر فوق رأسي يا مروان... لكنك فتحت أبواب الجحيم على نفسك وعائلتك. كنتَ تريد اللعب مع أدهم زهران؟ حسناً... دعنا نلعب بقوانيني أنا هذه المرة. والضحية الأولى في قائمتي الجديدة... لن تنتظر طويلاً."

استدار أدهم نحو اللوحة الخشبية، وأمسك بصورة قديمة تجمع مروان مع عمه طارق، وغرس السكين في منتصف وجه مروان بقوة جعلت الخشب يهتز. لقد انكسر القناع تماماً، وخرج v إلى النور، ولن يتوقف حتى يحول حياً المحقق إلى بركة من الدماء غُرِسَ النَّصْلُ الحَادُّ فِي مُنْتَصَفِ الصُّورَةِ، فَانْشَقَّتْ مَلَامِحُ مَرْوَانَ الضَّاحِكَةُ إِلَى نِصْفَيْنِ، وَامْتَدَّ الشَّرْخُ فِي الخَشَبِ العَتِيقِ كَأَنَّهُ أُخْدُودٌ مِنَ النَّارِ! مَعَ تِلْكَ الضَّرْبَةِ الهَائِلَةِ، لَمْ يَهْتَزَّ المَكْتَبُ أَوْ المَسْلَخُ الخَفِيُّ فَحَسْبُ، بَلْ اهْتَزَّتْ مَعَهُ أَرْكَانُ المَدِينَةِ بِأَكْمَلِهَا، مُعْلِنَةً أَنَّ العَاصِفَةَ الَّتِي كَانَتْ تُزْعِدُ فِي الخَارِجِ قَدْ اسْتَقَرَّتْ الآنَ رَسْمِيّاً فِي صَدْرِ أَدْهَمَ زَهْرَان.

لَقَدْ انْكَسَرَ القِنَاعُ رَسْمِيّاً... هَوَى كَمِرْآةٍ فَاخِرَةٍ تَحَطَّمَتْ عَلَى بَلَاطٍ بَارِدٍ، لِيَخْرُجَ الوَحْشُ الحَقِيقِيُّ إِلَى النُّورِ! صَمْتُهُ لَمْ يَعُدْ وَقَاراً، وَابْتِسَامَتُهُ السَّاحِرَةُ تَجَمَّدَتْ لِتُصْبِحَ الشَّفْرَةَ الَّتِي سَتَقْطَعُ أَنْفَاسَ كُلِّ مَنْ خَانَهُ. نَظَرَ أَدْهَمُ إِلَى قَطَرَاتِ المَطَرِ الَّتِي كَانَتْ تَتَسَلَّلُ مِنْ شُقُوقِ السَّقْفِ الصَّخْرِيِّ لِتَمْتَزِجَ بِالصَّدَإِ الغَائِرِ عَلَى الطَّاوِلَةِ المَعْدَنِيَّةِ، وَهَمَسَ بِنَبْرَةٍ تَحْمِلُ هَسْهَسَةَ الأَفَاعِي وَرَعْدَ المَوْتِ:

«كُنْتَ تَمْكُثُ فِي جَحِيمِي لِسَبْعِ سَنَوَاتٍ يَا مَرْوَان... الآنَ، سَأَجْعَلُ الجَحِيمَ يَمْكُثُ فِيكَ إِلَى الأَبَدِ!»

فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ، انْطَلَقَتْ أَحْدَاثٌ مُتَسَارِعَةٌ تَحْبِسُ الأَنْفَاسَ؛ لَمْ يَكُنْ أَدْهَمُ يُخَطِّطُ لِلْهَرَبِ كَطَرِيدٍ

بَائِسٍ، بَلْ كَانَ يُعِيدُ تَرْتِيبَ حِجَارَةِ الشَّطْرَنْجِ بِيَدٍ فُولَاذِيَّةٍ. أَخْرَجَ مِنْ جَيْبِ مِعْطَفِهِ الحَقِيبَةَ الدِّبْلُومَاسِيَّةَ السِّرِّيَّةَ الَّتِي اسْتَعَادَهَا قَبْلَ نُزُولِهِ لِلْمَمَرِّ، وَفَتَحَهَا لِيَجِدَ فِيهَا مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسْبَانِ المُحَقِّقِ: المَلَفَّاتُ الأَصْلِيَّةُ لِصَفَقَاتِ "آل زهران" مَخْتُومَةً بِتَوْقِيعَاتٍ سِرِّيَّةٍ لَا تَمْنَحُ٧ السُّلْطَةَ لِلْمَاضِي، بَلْ تَقْطَعُ خُطُوطَ الإِمْدَادِ عَنْ الشَّبَكَةِ الَّتِي ظَنَّ مَرْوَانُ أَنَّهُ يَقُودُهَا!

فِي الخَارِجِ، كَانَ مَرْوَانُ يَقِفُ تَحْتَ المَطَرِ الغَزِيرِ أَمَامَ رِجَالِ الشُّرْطَةِ، وَامِضُ الأَضْوَاءِ الزَّرْقَاءِ وَالحَمْرَاءِ يَنْعَكِسُ عَلَى وَجْهِهِ الصَّارِمِ. لَقَدْ نَجَحَ فِي جَعْلِ الشُّرْطَةِ تَحْتَلُّ القَصْرَ، لَكِنَّ فَرْحَتَهُ لَمْ تَدُمْ طَوِيلاً. حِينَمَا تَقَدَّمَ قَائِدُ القُوَّاتِ نَحْوَهُ، لَمْ يُوَجِّهْ لَهُ التَّحِيَّةَ كَمُحَقِّقٍ مُنْتَصِرٍ، بَلْ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

«سَيِّدَ مَرْوَان! جَاءَنَا اتِّصَالٌ الآنَ مِنْ غُرْفَةِ العَمَلِيَّاتِ المَرْكَزِيَّةِ... التَّسْجِيلُ الصَّوْتِيُّ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ يَدِينُكَ أَنْتَ أَيْضاً! السَّاعَةُ السُّوِيسْرِيَّةُ الَّتِي تَظْهَرُ فِي صُورَةِ المِينَاءِ القَدِيمِ مُسَجَّلَةٌ بِاسْمِكَ فِي السِّجِلَّاتِ المَلَكِيَّةِ مُنْذُ سَبْعِ سَنَوَاتٍ! أَنْتَ مَقْبُوضٌ عَلَيْكَ بِتُهْمَةِ التَّلَاعُبِ وَقَتْلِ العَمِّ طَارِق!»

اتَّسَعَتْ عَيْنَا مَرْوَانَ بِصَدْمَةٍ زَلْزَلَتْ كَيَانَهُ! لَقَدْ قَلَبَ أَدْهَمُ الطَّاوِلَةَ عَلَيْهِ حَتَّى قَبْلَ أَنْ يُغَادِرَ الغُرْفَةَ؛ فَمَسْحُ الحِذَاءِ، وَالمَنَادِيلُ المَبْلُولَةُ، وَكُلُّ تِلْكَ التَّفَاصِيلِ الصَّغِيرَةِ كَانَتْ لِتَحْوِيلِ الأَدِلَّةِ الجِنَائِيَّةِ نَحْوَ المُرَاقِبِ المَخْفِيِّ.

وَتَحْتَ الأَرْضِ، فِي ذَلِكَ المَسْلَخِ المُرْعِبِ، كَانَ أَدْهَمُ زَهْرَانِ يَرْتَدِي قُفَّازَاتِهِ الجِلْدِيَّةَ السَّوْدَاءَ ب things لامتناهٍ، وَعَيْنَاهُ تُشِعَّانِ بِحَمَاسٍ جَدِيدٍ وَمُتَفَجِّرٍ. لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ مَجَالٌ لِلرَّحْمَةِ، وَلَا وُجُودَ لِلأَقْنَعَةِ. كَانَ النَّصْلُ يَلْمَعُ، وَالصُّوَرُ تَتَسَاقَطُ وَاحِدَةً تِلْوَ الأُخْرَى فِوقَ البَلَاطِ، مُعْلِنَةً أَنَّ صَاحِبَ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ لَنْ يَتَوَقَّفَ حَتَّى يَغْسِلَ شَرَفَ عِائِلَتِهِ بِدَمِ مَنْ تَجَرَّأَ عَلَى دُخُولِ عَرِينِهِ.

لَقَدْ بَدَأَتْ الحَرْبُ الحَقِيقِيَّةُ الآنَ... حَرْبٌ لَا قَوَانِينَ فِيهَا، وَلَا نِقَاطَ لِلتَّرَاجُعِ، وَالخُطْوَةُ القَادِمَةُ لِأَدْهَمَ سَتَكُونُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ فِي قَلْبِ العَاصِفَةِ

الانهيار الأكبر: سقوط الصّياد والطريد

لم يكد مروان يستوعب الكلمات التي فاه بها قائد الشرطة، ولم تكد الأصفاد الحديدية تلمس معصمه، حتى دوت صرخة مروعة عبر جهاز اللاسلكي الخاص بالقائد، صرخة هزت أركان المكان وجعلت الجميع يتجمدون في مواقعهم:

"سيدي! سيدي القائد! انسحبوا فوراً! القصر ليس مكاناً آمناً... المستودع رقم 7 ينفجر الآن، وهناك حريق هائل يلتهم الميناء بالكامل! أدهم زهران لم يهرب... إنه يمحو المدينة!"

في تلك الثواني القاتلة، وتحت الأرض في ذلك القبو المظلم، لم يكن أدهم يبتسم انتصاراً، بل كانت ملامحه تنقبض برعب لم يعرفه طوال حياته. فجأة، انطفأت الأنوار تماماً، وبدأت الجدران الخرسانية للمسلخ السرّي تتشقق وتنهار كأنها مصنوعة من ورق!

لم يكن السكين المغروس في وجه مروان سوى فخٍّ أخير لم يضعه أدهم... بل وضعه شخصٌ ثالث!

خروج الطرف الثالث إلى النور

انفجرت البوابة الحديدية للقبو بعنف، وتطايرت الشظايا في كل مكان. وسط الدخان الكثيف والغبار، ظهر طيفٌ ضخم يرتدي قناعاً زجاجياً عاكساً، يحمل سيلان من الأجهزة الرقمية التي تتحكم في منظومة القصر بالكامل.

لم يكن مروان هو المحقق، ولم يكن أدهم هو السفاح الوحيد... بل كان هناك "المهندس"، العقل المدبر الحقيقي الذي صنع جريمة سبع سنوات مضت، وجعل الاثنين مجرد دمى في مسرحيته الكبرى ليتخلص من عائلة زهران وجهاز التحقيق معاً في ليلة واحدة!

أخرج "المهندس" جهاز تحكم صغير، وضغط على زر أحمر، لتظهر على شاشات القبو المنهَار صور حية لمروان وهو يُساق إلى سيارة الشرطة، وصورة لأدهم وهو محاصر تحت الأنقاض. ونطق الصوت عبر مكبر الصوت بقسوة آلية:

«أدهم... مروان... سبع سنوات وأنتما تتبادلان الأدوار بغباء. أحدهما يظن نفسه صياداً والآخر يظن نفسه وحشاً. الليلة، تنتهي اللعبة، والإمبراطورية لن تعود لأي منكما... لقد أصبحت ملكاً لمن كان يحرك الخيوط من خلف الستار.»

بداية الجحيم الحقيقي

تأججت النيران في الأعلى، وبدأ السقف ينهار فوق رأس أدهم، بينما رصاصات الشرطة في الخارج بدأت تنطلق بشكل عشوائي بسبب الانفجارات المتتالية التي هزت بوابات القصر.

انكسرت الأقنعة القديمة كلياً، والآن... لم يعد الأمر مجرد انتقام شخصي أو بركة دماء، بل أصبحت معركة بقاء طاحنة بين ثلاثة عقول مستعدة لحرق المدينة بأكملها للفوز باللعبة!الشاشات الرقمية تتوهج بوجه "المهندس" الساخر وسط الغبار، شعر أدهم بجرعة الكبرياء والتعجرف تتدفق في عروقه من جديد؛ هو لا يقبل أن يكون مجرد دمية في يد أحد. ثبت حذاءه الإيطالي على الأرض المنهارة، والتفت نحو مخرج الطوارئ السري البديل الذي لم يحسب حسابة ذلك الدخيل.

وفي تلك اللحظة القاتلة وسط ركام الميناء المحترق في الخارج، لم تكن الشرطة هي من تسيطر على الموقف، بل كانت هناك قوى أخرى تتحرك في الظل.

ظهور "ليليان": الملاك الساحر المنقذ

من بين ألسنة اللهب والدخان التي بدأت تلتهم أطراف القبو، انشق جدار جانبي لم يكن مسجلاً في أي خريطة رقمية للمهندس. ووسط الغبار، ظهر طيف فتاة يحيط بها غموض يسرق الأنفاس.

كانت "ليليان"؛ فتاة في منتصف العشرينيات، تفيض بجمال ساحر، ووقار بارد ينافس برود أدهم

نفسه. كانت ترتدي معطفاً جلدياً أسود يبرز أناقتها الفائقة، وتضع نظارات واقية من الدخان لم تخفِ حدة عينيها الجذابتين. لم تكن مرعوبة، ولم تكن تصرخ، بل كانت تتحرك بثبات أسطوري كأنها تسير في عرض أزياء وسط الجحيم.

ليليان هي الفتاة الوحيدة التي اخترقت حصون قلب أدهم المتعجرف قبل سنوات، قبل حتى أن يطأ مروان عتبة هذا القصر. أحبها أدهم بجنون صامت، ورغم وسامته وثروته التي تجعل النساء يتهافتن عليه، إلا أن ليليان كانت الاستثناء الوحيد؛ ملاكه المنقذ، والوحيدة التي تملك القدرة على جعل مفاصل يده ترتجف.

لكن ليليان لم تكن يوماً تائهة في غرامه. لم تكن تبحث عن مشاعر دافئة، بل كانت شريكته الذكية والعقل المالي الخفي الذي ساعده في نسج خيوط ثروته من وراء الكواليس.

شريكة لا عشيقة

تقدمت ليليان نحو أدهم المحاصر تحت ركام السقف، ومدت يدها المرتدية قفازاً مخملياً لتساعده على النهوض ببرود مذهل. نظر إليها أدهم بعيون تملؤها الدهشة والضعف لأول مرة، وتمتم بنبرة رخيمة:

«ليليان... كيف وصلتِ إلى هنا؟ المكان ينهار والمهندس يمحو كل شيء! هل غيرت رأيك بي واتيت لتنقديني》

لمعت عيناها تحت ضوء النيران، ورسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة، ساحرة ومستفزة، وقالت بصوت ناعم كالحرير ولكنه قاطع كالشفرة:

«أدهم... أنت أذكى من أن تصاب بالذعر من مجرد نظام رقمي غبي. أنا لم آتِ إلى هنا دافعاً بالحب أو لكي أنقذ حياتك لأنني لا أستطيع العيش دونك... أنا هنا لأنني شريكتك في هذا العرش. وإذا سقطت إمبراطوريتنا، سأسقط معك، وهذا خيار لا أقبله.»

نظرت نحو الشاشة حيث يضحك "المهندس"، ثم التفتت إلى أدهم بوقارها المعهود وأضافت بكبرياء:

«مروان والشرطة والمهندس... الجميع يظنون أنهم يملكون يد السبق. لكنهم نسوا أن الحسابات الحقيقية للإمبراطورية كانت بين يدي أنا. تحرك يا أدهم، فلدينا مدينة لنستعيدها، ولا وقت للمشاعر الآن.»

شعر أدهم بطعنة باردة في كبريائه؛ الفتاة التي يحبها ويستعد لحرق العالم لأجلها، لا تراه في هذه اللحظة إلا شريكاً في السلطة والقوة! لكن هذا البرود في عينيها كان بالتحديد ما يحتاجه الوحش ليعود بكامل قوته وعجرفته.

نهض أدهم، وعدّل ياقة قميصه الأبيض رغم الغبار المحيط به، واستعاد نظرته الثاقبة. انطلقت ليليان أمامه تقوده عبر الممر السري الذي فتحته بأجهزتها الخاصة، تاركين خلفهما قبو المهندس ينفجر. والآن، خرج أدهم إلى شوارع المدينة هارباً من العدالة، لكنه ليس وحيداً... بل برفقة الشريكة الأكثر خطورة وجمالاً، وعقله يشتعل بخطة لسحق مروان والمهندس معاً!

امتزجت قطرات المطر الباردة برائحة الدخان والرماد العالقة على ملابسهما بمجرد أن وطئت أقدامهما زقاقاً خلفياً مهجوراً، بعيداً عن أضواء سيارات الشرطة التي كانت تطوق الواجهة الأمامية للقصر.

وقف أدهم بكامل قامته وثباته المتجدد، يراقب الشوارع المظلمة وعقله ينسج خيوط الانتقام، والتفت نحو ليليان التي كانت تنفض الغبار عن معطفها الجلدي الأسود بحركات بطيئة، ممتعضة وكأن المطر والدمار قد تجرآ على إفساد أناقتها الفائقة.

نظر إليها بنظرته الحادة، وحاول استعادة زمام السيطرة والنفوذ بصوته الرخيم قائلاً:

«المدينة الآن أصبحت حقل ألغام يا ليليان. الشرطة تظن أنني قتلت عمي طارق، والمهندس يملك مفاتيح الأنظمة. علينا الاختباء في ملاذي الآمن بضواحي العاصمة حتى أُعيد ترتيب أوراقي وأسحق مروان.»

التفتت إليه ببطء شديد. رفعت ذقنها بكبرياء وعجرفة لا تليق بامرأة تهرب من العدالة، ونظرت إليه من الأسفل إلى الأعلى بنظرة باردة، مستفزة، خالية من أي وازع عاطفي، ثم أطلقت ضحكة خافتة، ساخرة كالنصل:

«تُعيد ترتيب أوراقك؟ وتختبئ في ملاذك؟ كم أنت واهم ومثير للشفقة الليلة يا أدهم زهران!»

خطت خطوة واحدة للأمام، وكعب حذائها يضرب إسفلت الشارع المبتل بقسوة وثقة، وتابعت بنبرة حادة كالشفرة جعلت مفاصل يده ترتجف مجدداً:

«هل تظن حقاً أنني جئتُ لأقودك إلى المخابئ التي يعرفها المهندس ومروان؟ أم تظن أنك ما زلت في قصرك تملي الأوامر بصفتك "السيد المطاع"؟ استيقظ من كبريائك الأعمى... أوراقك احترقت في القبو، وملاذك الآمن مراقب منذ ساعتين.»

امتدت أصابعها المرتدية القفاز المخملي الأسود، وبحركة متعجرفة مليئة بالتحقير لموقفه، قامت بتعديل ياقة قميصه الأبيض المتسخ بالرماد، وهَمست بالقرب من وجهه بنبرة تقطر برود:

«أنت تدير الواجهة، وتظن نفسك وحشاً لأنك تملك سكيناً واسماً يرتعد منه رجال البورصة. لكن خلف هذه الشوارع المظلمة، أنا من يملك الحسابات الحقيقية والخطوط البديلة التي لم يسمع

عنها المهندس في حياته. الليلة، أنت لست القائد... أنت مجرد طريد يحمل اسماً مطلوباً للعدالة، وأنا تذكرتك الوحيدة للبقاء على قيد الحياة.»

تراجعت خطوة للخلف، ونظرت إلى ملامحه الوسيمة والمصدومة بكبرياء تام، وأضافت بشروطها القاسية:

«أنا لم أنقذك لأن عينيك الساحرتين تعنيان لي شيئاً، أو لأنني أخشى خسارة "أدهم" كـرجل... أنت بالنسبة لي الشق التنفيذي الأقوى لإمبراطوريتي المالية، وإذا سقط شريكي، تضررت مصالحي. أنا أنقذت حصتي من العرش، والآن... ستمشي خلفي، وتنفذ ما أقوله بالحرف، حتى تثبت لي أنك ما زلت تستحق الهيبة التي تحملها، وإلا... سأتركك للشرطة الليلة، وأبحث عن شريك آخر يعرف كيف يحمي عرشي بذكاء أكبر.»

التفتت بكل برود وعجرفة، ومشت في الشارع المظلم تحت زخات المطر دون أن تنتظر رده، تاركة أدهم واقفاً في عتمة الزقاق، وعقله يشتعل بذهول عارم؛ فتلك الفتاة الساحرة لا تكتفي بصد مشاعره وتقديسه لها، بل تسلب منه قيادة المعركة في اللحظة التي خرج فيها للشارع كـوحش هارب!لكن حبه لها قد زاد مشت ليليان في رذاذ المطر الواهب، خُطُواتها الواثقة على الإسفلت المبتل لم تكن خُطُوات هاربة، بل خُطُوات مالكة للمكان. لم تلتفت لترى إن كان يتبعها أم لا، لأن كبرياءها كان يملي عليها أن أدهم زهران، بكل جبروته، ليس أمامه خيار آخر سوى اللحاق بظلها.

شعر أدهم بدمائه تغلي؛ هذا التعجرف القاسي منها كان نَصْلاً حاداً يمزق بقايا كبريائه كرجل أعمال وسفاح تهابه المدينة، لكنه في الوقت ذاته كان الوقود الوحيد القادر على إيقاظ الصياد الحقيقي فيه. عدل قامته الممشوقة، ومسح قطرات المطر عن جبهته، ثم لحق بها بخطوات عريضة هادئة حتى صار يوازيها في المشي، دون أن يكسر وقاره.

تحدث بنبرته الرخيمة الثابتة، وعيناه الثاقبتان تراقبان المنعطفات المظلمة:

«التبعية ليست من صفاتي يا ليليان، وأنتِ تعرفين ذلك جيداً. حتى وإن كانت أوراقي قد احترقت الليلة، فإن يدي ما زالت قادرة على خنق من صنع المحرقة. مروان والمهندس لن ينتظرا طويلاً حتى يكتشفا أن الجثة التي يبحثان عنها تحت الركام ليست جثتي.»

توقفت ليليان فجأة عند نهاية الزقاق الضيق، حيث انفتحت الشوارع على خط سريع شبه مهجور تتراقص فيه أضواء المصابيح الصفراء الخافتة. التفتت إليه ببطء، ورمقته بنظرة جانبية حادة، تفوح منها السخرية والترفع، وقالت بصوت ناعم ومستفز:

«خنق؟ ما زلت تفكر بالدماء والسكاكين كأي هاوٍ في هذا العالم المظلم يا أدهم؟ المهندس اخترق أجهزتك لأنك وثقت بنظامك، ومروان خدعك لأنك اعتقدت أن غباءه مجرد تسلية لحذائك الإيطالي. القوة ليست في أن تقتل

عدوك، القوة في أن تجعله يتحرك كدمية في مسرحيتك وهو يظن أنه ينتصر.»

أخرجت هاتفاً أسود صغيراً ومشفراً تماماً، وضغطت على زر واحد، لتضيء كشافات سيارة ليموزين سوداء مصفحة كانت تقف في عتمة الجانب الآخر من الطريق، وخرج منها سائق يرتدي زياً رسمياً وانحنى برأسه طاعةً لليليان، وليس لأدهم.

نظرت ليليان إلى السيارة، ثم أعادت عينيها الساحرتين الباردتين إلى وجه أدهم، وقالت بكبرياء مطلق وهي تضع هاتفها في جيب المعطف:

«السيارة مسجلة باسم شركة وهمية لا وجود لها في حسابات آل زهران ولا في سجلات الدولة. مروان الآن يحاول إثبات براءته أمام الشرطة بعد أن انقلب السحر عليه، والمهندس يظن أنه تخلص منا معاً. الليلة سنذهب إلى مقري الخاص، هناك سأريك كيف تدار الإمبراطوريات بحق. وإلى أن تستعيد عقلك البارد وتتوقف عن التفكير بمنطق القوة العضلية... تذكر أنك ضيفي، والضيوف في مملكتي لا يملكون حق الاعتراض.»

تقدمت نحو السيارة بخطواتها الأنيقة، ليفتح لها السائق الباب بوقار، وركبت في المقعد الخلفي الفاخر ببرود تام، تاركة الباب مفتوحاً له كأنه دعوة مشروطة.

وقف أدهم زهران تحت المطر، قبضته اشتدت على المسدس المخفي في معطفه، لكن ابتسامة خفيفة ومرعبة ارتسمت على شفتيه الجذابتين. هذه الفتاة كانت نقطة ضعفه الأكبر، لكنها كانت أيضاً الوحيدة التي تستحق أن تكون شريكته في تدمير المدينة. ركب السيارة بجانبها، وعيناه تشتعلان بحماس طال غيابه؛ فاللعبة الثلاثية بينه وبين مروان والمهندس قد انتهت، وتبدأ الآن لعبة أخطر... مع الملاك الساحر المنقذ والمتحكم.السيارة المصفحة كانت تبتلع الطريق السريع في صمت مطبق، المطر يضرب الزجاج الأسود، وليليان تتأمل شاشتها اللوحية ببرود وكأن الرجل الذي يجلس بجانبها مجرد مقعد إضافي في السيارة.

نظر إليها أدهم، والتعب والنعاس يثقلان جفنيه لأول مرة منذ سبع سنوات، لكن كبرياءه المتعجرف منعه من إظهار ذلك. أسند رأسه إلى الخلف، ونبرته الرخيمة خرجت مبحوحة ومستسلمة للجهد:

«لقد ربحتِ الجولة الأولى من الاستعراض يا ليليان... لكن هذا الكبرياء سيخنقنا معاً إن لم ننَم لبعض الوقت. عقلي يرفض الاستجابة، ولستُ مستعداً لمواجهة العالم بملامح متعبة.»

التفتت إليه ببطء شديد، ورمقته بنظرة ساخرة تملؤها العجرفة، ثم وضعت شاشتها جانباً ببطء مستفز وقالت بنبرة حادة كالشفرة:

«يشعر بالنعاس؟ أدهم زهران، السفاح الذي هز المدينة، يغالب النوم لأن ليلته كانت صاخبة قليلاً؟ كم أنت رقيق يا ابن عمي!»

امتدت يدها المرتدية القفاز لتضغط على زر صغير في مسند المقعد، لينحني مقعد أدهم ببطء إلى الخلف بوضع مريح. نظرت إلى وجهه الوسيم المنهك بكبرياء تام، وأضافت وهي تعيد عينيها إلى الشاشة:

«نَم يا أدهم... نَم كطفل صغير ترك ألعابه محترقة خلفه. أنا لا أحتاج لوعيك الآن على أي حال، فالحرب الحقيقية تدار بالعقول المستيقظة، وطالما أنني مستيقظة، فالإمبراطورية في أمان. عندما تفتح عينيك في مقري، تذكر أنك ستستيقظ في عالمي أنا... حيث لا مكان للمغفلين أو المتعبين.»

أغلق أدهم عينيه ببطء، مستسلماً للنعاس الشديد تحت تأثير دفء السيارة ورائحة اللافندر البارد المنبعثة من عطرها، بينما واصلت ليليان قيادة اللعبة من فوق مقعدها العاجي، تاركة الوحش ينام مؤقتاً في عرينها.
لم يستيقظ أدهم في ملاذ آمن، بل فتح عينيه ببطء ليجد رأسه مثقلاً بالدوار، وجسده مقيداً بسلاسل حديدية سميكة على كرسي معدني في منتصف غرفة بيضاء غامضة، تفوح منها رائحة المعقمات الطبية... ولم تكن هذه الغرفة سوى قبو المقر السري لليليان!

أمام الطاولة الفخمة، كانت ليليان تجلس بكامل أناقتها وعجرفتها، ترتشف قهوتها ببرود أسطوري. وبجانبها... كان يقف شخص يرتدي معطفاً مطرياً، يبتسم بانتصار خبيث وهو يمسك ساعته السويسرية الفاخرة.

مروان!

نظر أدهم إليهما وعيناه تتوهجان بجمر الغضب الصاعق، ونبرته الرخيمة خرجت حادة كالشفرة رغم مقيداته:

«ليليان... مروان؟ ما هذا السيرك المقزز؟»

شريكة لا عشيقة: اللعبة الحقيقية

أطلقت ليليان ضحكة خافتة، باردة، ومستفزة للغاية. وقفت خطوة بخطوة، وكعب حذائها يضرب الأرضية البيضاء بوقار قاتل، ثم اقتربت من أدهم، ورفعت ذقنه بأصابعها المرتدية القفاز المخملي بكبرياء تام وقالت بنبرة تقطر سمّاً وعجرفة:

«أدهم... يا ملاكي الساحر الفاشل. هل ظننت حقاً أن هناك "مهندساً" طرفاً ثالثاً؟ وهل اعتقدت أنني سأخاطر بحياتي لإنقاذ رجل رومانسي متعجرف يغرق في نعاسه؟ كم أنت غبي ومثير للشفقة!»

التفتت نحو مروان، ثم عادت لتنظر في عيني أدهم المصدومتين وتابعت بكبرياء أعمى:

«مروان ليس محققاً جاء لينتقم لسبع سنوات مضت... مروان هو أخي! ونحن من صنعنا قصة المستودع رقم 7، ونحن من أرسلنا المغلف الأسود، ونحن من حركنا دمية "المهندس" الوهمية على الشاشات الليلة الماضية لكي نسحبك من قصرك بإرادتك حتى تبصم على تنازل كامل عن أموال آل زهران لإنقاذ حياتك!»

أدهم زهران الآن في قمة مأزقه، مقيد بالسلاسل، ينظر إلى الفتاة التي كانت نقطة ضعفه الوحيدة يداً بيد مع مروان، يخططان لسرقة إمبراطورياته. لكنكِ تعرفين أدهم جيداً... النمر يصبح أكثر شراسة وفكاً عندما يُحاصر في الزاوية، وكبرياؤه المتغطرس لن يسمح له بالانحناء أبداً، حتى لو كان النصل على عنقه!

بما أن الشغف عاد واشتعل، دعينا نرفع الستار عن المواجهة القاتلة:

زئير الوحش المقيد

ساد صمت ثقيل في الغرفة البيضاء، لا يقطعه سوى رنين ضحكة مروان الخبيثة وهو يداعب زناد مسدسه. كانت ليليان تنتظر أن ترى نظرة انكسار أو توسل في عيني أدهم، لكنها عندما نظرت إليه... تجمدت الابتسامة على شفتيها.

أدهم لم يكن يبكي، ولم يكن خائفاً.

بدأت حنجرته تصدر صوتاً منخفضاً، تحول تدريجياً إلى ضحكة رخيمة، عميقة، ومرعبة جداً هزت جدران الغرفة المعقمة. رفع رأسه ببطء، وعيناه الساحرتان اللتان كانتا غارقتين في النعاس قبل قليل، تحولتا إلى قطعتين من الجمر الحارق اللامع بنقاء الوحشية الكامنة فيه.

نظر إلى ليليان، ثم إلى مروان، ونطق بنبرة واثقة، متهكمة، ومتعجرفة لدرجة مستفزة:

«أخيراً... سقطت الأقنعة المملة وظهرت اللعبة الحقيقية! مروان وليليان... الأشقاء الأفاعي. تصفيق حار لكما على هذا العرض المسرحي المتقن.»

اللعبة لم تنتهِ.. بل بدأت الآن!

شد أدهم جسده العريض، لتصدر السلاسل الحديدية صريراً حاداً، وتابع وعيناه مثبتتان في عيني ليليان بكبرياء أعمى يتحدى قيوده:

«لكنكما ارتكبتما غلطة واحدة قاتلة... غلطة لا يقع فيها حتى الهواة. ليليان، أنتِ قلتِ بنفسكِ أنكِ العقل المالي الذي نسج حسابات عائلتي، أليس كذلك؟»

تغيرت ملامح ليليان قليلاً، ورفعت حاجبها بريبة وعجرفة متسائلة:

«وماذا في ذلك؟ الحسابات كلها تحت سيطرتي الآن.»

ارتسمت على شفتي أدهم ابتسامته الساحرة والمستفزة ذاتها، وهَمَس برود قاتل زلزل ثقتها:

«في حسابات آل زهران، هناك بند سري يُدعى "صندوق الموت المحتوم". إذا توقف نبض قلبي، أو إذا تم تسجيل خروج حساباتي الرسمية من نطاق القصر دون بصمة عيني الحية خلال 60 دقيقة... تُرسل كل الوثائق والجثث المدفونة في الميناء، وصور صفقاتكِ المشبوهة، مباشرة إلى الإنتربول الدولي. وساعتها، لن تملكا مدينة، بل ستملكان زنزانة مشتركة في السجن الفيدرالي!»

الطاولة تقلب من جديد!

شحب وجه مروان، وتراجع خطوة للخلف وهو ينظر إلى ساعة يده السويسرية التي كانت تشير إلى بقاء 15 دقيقة فقط على انتهاء المهلة! التفت نحو شقيقته ليليان بذعر، بينما تجمدت هي في مكانها، قناع كبريائها تصدع لأول مرة أمام عبقرية أدهم وعجرفته التي لا تموت حتى وهو مقيد.

نظر أدهم إلى السلاسل، ثم إليهما وقال بوعيد يملأه الشغف:

«والآن يا .ساغي-كون"... من منا الدمية في مسرحية الآخر؟ أمامكما ربع ساعة فقط لفك هذه السلاسل، والاعتذار بطريقة تليق بـ "سيد القصر"... وإلا سنذهب جميعاً إلى الجحيم معاً!»ساد صمتٌ خانق في أركان الغرفة البيضاء المعقمة، صمتٌ لم تكسره سوى دقات ساعة مروان السويسرية التي بدأت تلتهم الثواني المتبقية بقسوة.

نظرت ليليان إلى أدهم، وكلمة "ساغي-كون" ما زالت تتردد في أذنيها كشفرة حادة جرحت كبرياءها الطاغي. لم تكن تتوقع أن هذا الوحش المتعجرف، حتى وهو مكبل بالحديد ومحاصر بالخيانة، قادرٌ على سحب البساط من تحت أقدامها بكلمة واحدة وتحت مسمى "صندوق الموت المحتوم".

تراجع مروان خطوتين، وبدأت حبات العرق البارد تظهر على جبهته وهو يهمس بذعر:

«ليليان... اللعنة! إنه لا يكذب، أنا أعرف حسابات آل زهران السرية، إذا انطلقت تلك الملفات إلى الإنتربول، فلن نرى النور مجدداً! فُكي السلاسل اللعينة الآن!»

لم تلتفت ليليان إلى أخيها، بل ظلت عيناها الساحرتان مثبتتين في عيني أدهم الجمرتين. ورغم الهزة العنيفة التي أصابت خطتها، إلا أن عجرفتها ترفض السقوط كلياً. خطت خطوة بطيئة نحو

الكرسي المعدني، وكعب حذائها يضرب الأرض بقسوة كأنه يعلن رفضها التام للانحناء.

انحنت قليلاً حتى أصبحت أنفاسها الباردة القريبة من رائحة اللافندر تلامس وجهه الوسيم المتسخ بالرماد، وقالت بنبرة حادة، هادئة، وتقطر سمّاً وعجرفة:

«تظن أنك كسبت الجولة يا أدهم؟ وتظن أن كلمة "ساغي-كون" ستجعلني أرتجف وأبكي تحت قدميك طالباً السماح؟ كم أنت واهم!»

امتدت يدها المرتدية القفاز المخملي الأسود لتسحب مفتاح القيود من جيب مروان بعنف، ثم وضعت المفتاح في القفل، لكنها لم تفتحه فوراً، بل ضغطت عليه بقسوة قائلة بكبرياء أعمى:

«سأفك هذه السلاسل ليس لأنني أعتذر منك، وليس لأنني أخشى تهديدك البدائي... بل لأنني لا أقبل أن تضيع إمبراطوريتي بسبب غباء أخي مروان في حساب الوقت. أنا أمنحك حريتك الآن كشريك، والـ 12 دقيقة المتبقية هي فرصتك لتثبت لي أنك قادر على إيقاف النزيف الرقمي... وإلا سأكون أنا من يغرس النصل في قلبك قبل أن تصل ملفاتك إلى الإنتربول.»

(تِك... تُك !تِك...تُك)

دار المفتاح ببرود، وسقطت السلاسل الحديدية الثقيلة على الأرض لتحدث دويّاً صاخباً هز أركان الغرفة.

تحرر الوحش.

وقف أدهم زهران بكامل قامته الممشوقة، وعدّل ياقة قميصه الأبيض ببطء شديد وبوقار أسطوري كأنه لم يكن مقيداً قبل ثوانٍ. نظر إلى معصميه المحتجين باللون الأحمر، ثم رفع عينيه نحو ليليان وارتسمت على شفتيه ابتسامته الساحرة والمستفزة ذاتها، وقال بصوت رخيم يحمل وعيداً يزلزل القلوب:

«عمل ممتاز يا "ساغي-كون"... والآن، ابقيا خلفي وشاهدا كيف يستعيد سيد القصر مملكته.»

التفت أدهم نحو الطاولة البيضاء الفخمة ببرود قاتل، ولم يستعمل لوحة المفاتيح، بل مرر كف يده اليمنى فوق سطح الطاولة الزجاجي لتظهر فجأة شاشة رقمية زرقاء مخفية تعمل ببصمة الشرايين الحرارية.

كانت الأرقام الحمراء للعد التنازلي تتراقص بسرعة جنونية: 09:42... 09:41...

مروان كان يراقب الشاشة وأنفاسه متلاحقة، بينما وقفت ليليان خلف أدهم مباشرة، تعقد ذراعيها بكبرياء وعجرفة، وعيناها الساحرتان تلاحقان حركاته بثبات، منتظرة أي هفوة لتسحق كبرياءه.

لم ينظر أدهم إليهما، بل أخرج من جيبه الداخلي ولاعته الذهبية الشهيرة، وبحركة سريعة ومفاجئة، مرر لهيب النار مباشرة أسفل الشاشة الرقمية!

صرخ مروان بذعر:

«أنت مجنون! ماذا تفعل؟ ستدمر النظام وتطلق الملفات للإنتربول!»

لكن ليليان ظلت صامتة، وعيناها تتسعان ببطء حين أدركت اللعبة. لم يكن أدهم يحرق الشاشة، بل كان يسخن مستشعراً حرارياً مخفياً مصنوعاً من النحاس النقي أسفل الطاولة، صُمم خصيصاً ليتأثر بحرارة نار ولاعته الشخصية فقط كـ "مفتاح أمان ميكانيكي" لا يمكن لأي مخترق رقمي أو نظام تشفير أن يصل إليه.

(طَاق!)

دوى صوت تكة ميكانيكية خفيفة من عمق الجدار البيولوجي، وتجمد العد التنازلي تماماً عند الرقم: 08:11.

تلاشت الأرقام الحمراء، وحل محلها شعار عائلة زهران بلون ذهبي ناصع، معلناً إيقاف التهديد وإعادة تشفير الحسابات بالكامل تحت سيطرة أدهم المطلقة.

أغلق أدهم ولاعته الذهبية ببرود أسطوري أصدر صوتاً رخيماً امتص كل صخب الغرفة، والتفت ببطء شديد نحو ليليان. خطى خطوة واحدة نحوها حتى كاد يلامس وجهها، ونظر إلى عينيها الساحرتين بعينين تشتعلان بعجرفة وتحدٍّ فاق كبرياءها بكثير، ثم قال بنبرة منخفضة ومستفزة:

«النظام الرقمي تملكين مفاتيحه أنتِ يا "ساغي-كون"... لكن الأنظمة الميكانيكية والخدع البدائية لا تخضع إلا لـ "سيد القصر".»

تراجع خطوة إلى الخلف، وعدّل ساعة يده الفاخرة، ثم وجه نظراته الحادة نحو مروان المرتعب ومن ثَم إلى ليليان الشريكة اللدودة وأضاف بوعيد يملأه الشغف:

«أنا لم أوقف العد التنازلي لأنقذ رقابكما، بل لأنني لا أسمح للشرطة أو الإنتربول أن يأخذوا صيدي الثمين قبل أن أستمتع به بنفسي. والآن... الخروج من هذه الغرفة سيكون بشروطي أنا. تحركا أمامي!»

لقد استعاد أدهم القيادة بضربة معلم عبقرية! والآن، الثلاثة يخرجون معاً إلى شوارع المدينة، لكن هذه المرة أدهم هو القائد، وليليان المخادعة تبحث عن فرصة أخرى لاستعادة هيبتها.امتزجت قطرات المطر الباردة بوجوههم الثلاثة بمجرد أن وطئت أقدامهم رصيف الشارع الخلفي المهجور. كان أدهم يسير في المقدمة بخطوات ثابتة ووئيدة، يضع يديه في جيبي

معطفه، وجسده الممشوق يعكس وقاراً أسطورياً لم تهزه قيود السلاسل قبل قليل.

خلفه بخطوتين، كان مروان يمشي بوجوم وهو يمسك ساعته السويسرية بيد ترتجف خفية، بينما كانت ليليان تسير بكبريائها الطاغي وعجرفتها التي تصدعت لكنها لم تمت، وعيناها الساحرتان تلاحقان ظهر أدهم بنظرات حادة كالنّصال، تبحث في حركاته عن أدنى هفوة أو ثغرة لتقلب الطاولة وتستعيد هيبتها المكسورة.

خرق أدهم الصمت بنبرته الرخيمة والباردة التي امتصت صوت المطر:

— "المدينة الآن أصبحت حقل ألغام للجميع. الشرطة تطارد اسمي بسبب جثة عمي طارق، والمنظومة الرقمية تحت سيطرتي التامة. أي حركة غبية منكما... ستجعل العد التنازلي يبدأ من جديد، لكن هذه المرة دون تراجع."

التفتت ليليان إليه ببطء، ورفعت ذقنها بتعجرف محاولة استعادة نفوذها وقالت بصوت ناعم ومستفز:

— "تظن أنك القائد لأنك تملك مفتاحاً ميكانيكياً بدائياً يا أدهم؟ لا تنسى أننا في الشارع الآن، والشارع لا يعترف بالولاعات الذهبية. بدون خطوطي البديلة ومقراتي السرية، أنت مجرد طريد تبحث الشرطة عن ملامحه الوسيمة في كل زاوية."

ارتسمت على شفتي أدهم ابتسامته الساحرة والمستفزة ذاتها، ولم ينظر إليها بل واصل السير وهو يقول ببرود قاتل:

— "مقراتكِ السرية مراقبة، وخطوطكِ البديلة أصبحت مكشوفة لعقلي منذ أن علمتُ أن مروان هو شقيقكِ. الليلة، سنذهب إلى مكان لا يخطر على بال الشياطين... مكان ارتبط بطفولتنا جميعاً."

شحب وجه ليليان فجأة، وتوقفت خطواتها لثانية واحدة قبل أن تستعيد توازنها. لقد فهمت الإشارة؛ إنه يقتادهم إلى ملجأ الأيتام القديم على أطراف المدينة، المكان الذي كانت تمثل فيه في الماضي أنها تحب الأطفال لكي تكسب قلبه ونقاء مشاعره منذ الصغر.

قالت ليليان بنبرة حادة حاولت كتمان ريبتها فيها:

— "الملجأ؟ ما زلت غارقاً في ذكريات الطفولة والمشاعر الرومانسية يا سيد القصر؟ الوقت لا يرحم المغفلين."

أجابها أدهم دون أن يلتفت، وصوته الرخيم يحمل وعيداً خفياً تدركه هي جيداً:

— "لستُ غارقاً في المشاعر يا 'ساغي-كون'... بل ذاهب لأستعيد مستندات مادية قديمة تخص إرث آل زهران، وهناك... سأرى إن كان قناع البرراءة الذي ارتديتِهِ طوال سنين طفولتنا ما زال صالحاً للاستخدام، أم أنه سيتفتت تحت المطر."

كانت ليليان تبحث في عقلا الثعلبي عن مخرج، وتتبادل النظرات السريعة مع مروان الذي كان ينتظر إشارة منها للتحرك. كانت تعلم أن وصولهم إلى الملجأ سيكشف الجريمة البشعة التي ارتكبتها هناك بدم بارد لتصفية الشهود، لكنها رأت في هذا الخروج إلى الشارع فرصة ذهبية؛ فكل خطوة يخطونها نحو الملجأ، هي خطوة تقربها من سلاح مروان المخفي، ومن استعادة سيطرتها وعجرفتها على الوحش الذي ظن أنه قيدها.

تابعت السير خلفه بخطواتها الأنيقة الواثقة، وعيناها تلمعان ببرود مرعب وهي تتمتم في سرها:

— "استمتع بقيادتك المؤقتة يا أدهم... فالمقابر هي أكثر الأماكن صمتاً، وفي الملجأ... سأدفن كبرياءك بيدي."استمرت المسيرة الصامتة تحت وابل المطر الذي أخذ يشتد، ليغسل زجاج السيارات الواقفة على جانبي الطريق المظلم. كان أدهم يتقدمهم بخطوات عريضة، حازمة، لا تهتز، وكأنه يملك الشارع بأكمله، بينما كان مروان يلتفت خلفه بين الحين والآخر بملامح قلقة، يراقب الضباب الذي بدأ يبتلع البنايات.

أما ليليان، فكانت تمشي وعقلها يعمل بأقصى سرعته الثعلبية. نظراتها الحادة كانت تدرس أدق تفاصيل حركة أدهم؛ كتفاه العريضان، طريقة قبضه على ولاعته الذهبية داخل جيب معطفه، وحتى المسافة التي تفصل بينه وبين مروان. كانت تبحث عن تلك الثغرة الواحدة التي تعيد إليها زمام الأمور.

أخرج مروان زفيراً ساخناً تلاشت أبخرته في الهواء البارد، وهمس بنبرة متوترة متوجهاً بكلامه لأدهم:

— "أدهم... الملجأ القديم يقع في منطقة معزولة تماماً، وتطويقها من قِبل الشرطة سيكون أسهل من تطويق القصر إن كُشف أمرنا. هل أنت متأكد أن المستندات المادية تستحق هذه المخاطرة؟"

توقف أدهم فجأة عند منعطف الطريق المؤدي إلى البوابة الحديدية المهجورة للملجأ. التفت ببطء شديد، ونظر إلى مروان بنظرة رخامية ثاقبة جعلت الأخير يبتلع ريقه بصعوبة، ثم نقل عينيه الجمرتين نحو ليليان، وقال بنبرة رخيمة، هادئة، وتحمل وعيداً يزلزل القلوب:

— "المستندات هناك يا مروان... لكن القيمة الحقيقية للرحلة ليست في الأوراق، بل في كشف الأوزان الحقيقية للأقنعة. ليليان تعرف جيداً ماذا يوجد في ذلك الملجأ، أليس كذلك يا شريكتي اللدودة؟"

رفعت ليليان حاجبها بعجرفة تامة، ورسمت على شفتيها الساحرتين ابتسامة باردة، مستفزة، وقالت بنبرة حادة كالنصل:

— "أنا أعرف أنك تحاول استدراجنا لملعب طفولتك لتشعر بالقوة مجدداً بعد أن انكسر حصنك الرقمي. لكن تذكر يا أدهم... المكان الذي شهد بداياتك، قد يكون هو نفسه المكان الذي يشهد نهايتك الليلة."

لم يجبها أدهم؛ بل التفت بوقاره المعهود ودفع البوابة الحديدية للملجأ التي أصدرت صريراً حاداً ومقززاً تآكل بفعل الصدأ.

دلف الثلاثة إلى الساحة الأمامية للملجأ. المكان كان يفوح برائحة الذكريات القديمة الممزوجة برطوبة الجدران المتشققة. الأرجوحات الحديدية القديمة كانت تتحرك ببطء بفعل الرياح، تصدر أصواتاً تشبه الأنين وسط عتمة الليل.

كانت ليليان تتقدم بخطوات ثابتة خلف أدهم، وعيناها تلمعان ببرود مرعب. كانت تعلم أن خلف أبواب هذا الملجأ المغلق، في القبو السفلي تحديداً، تقبع جريمتها البشعة... مجزرة الأطفال السبعة الذين تخلصت منهم بدم بارد لأنهم شهدوا على تحركات شبكتها السحرية القديمة.

لم تكن خائفة من اكتشاف أدهم للجثث، بل كانت ترى في هذه اللحظة فرصتها الكبرى؛ فبمجرد أن يقع أدهم تحت تأثير الصدمة والذهول برؤية الدماء في مكان طفولته النقي، سينهار كبرياؤه لثوانٍ معدودة... وتلك الثواني ستكون كافية جداً لكي يرفع مروان مسدسه الكاتم للصوت ويسحق رأس الوحش إلى الأبد.

توقفت ليليان خلف أدهم مباشرة أمام الباب الخشبي الضخم للملجأ، وقالت بصوت ناعم كالحرير ولكنه قاطع كالشفرة، محاولة إشعال فتيل المواجهة الأخيرة:

— "افتح الباب يا سيد القصر... دعنا ندخل ونرى ما خبأه لنا الماضي تحت سقفه المتهالك."

امتدت أصابع أدهم الطويلة والثابتة نحو مقبض الباب البارد، ودَفعه ببطء، لينفتح على ممر مظلم وطويل... ممر يقود مباشرة إلى الجحيم الذي صنعته يد ليليان!

تحرك أدهم إلى الداخل بثبات أسطوري، تاركاً خلفه صدى حذائه يتردد في الممر الخالي كضربات ساعة القيامة. كانت ولاعته الذهبية تشتعل في يده اليمنى، تلقي بظلال طويلة مشوهة على الجدران المقشرة ذات اللون الباهت. خلفه تماماً، كانت ليليان تسير بخطوات بطيئة، حذرة، وعيناها الساحرتان تترقبان في عتمة الممر حركة كتفيه؛ كانت الأدرينالين يتدفق في عروقها، وثقتها الثعلبية تخبرها أن النصر بات قاب قوسين أو أدنى.

استدار أدهم عند نهاية الممر نحو السلم الحجري المؤدي إلى القبو السفلي. تيار هواء بارد ورطب انبعث من الأسفل، حاملاً معه تلك الرائحة المعدنية الثقيلة... رائحة الموت البارد التي كانت ليليان تعرفها أكثر من أي شخص آخر.

هبط أدهم الدرجات واحدة تلو الأخرى بوقاره المعهود وعجرفته التي لا تنحني، وتبعته ليليان، بينما تسلل مروان خلفهما بصمت، ويده قد استقرت بالفعل على مقبض مسدسه المخفي، مستعداً لإشارة شقيقته.

مع آخر درجة، انفتح القبو الواسع. رفع أدهم يده بالولاعة ليتسع مدى الضوء الأصفر... وفي ثانية واحدة، تجسدت المجزرة البشعة أمام أعينهم.

أكثر من سبعة أطفال من أيتام الملجأ كانوا ملقين على الأرض بدم بارد،

خامدة غارقة في دماء قانية بللت حواف الأرضية الخرسانية الطينية. المكان الذي كان يوماً رمزاً لطفولة أدهم ونقائه، تحول إلى مسلخ بشري مرعب.

ساد صمت رهيب، قاتل، ومقزز. التفت أدهم ببطء شديد، وناصباً جسده الممشوق بكامل طوله. لكن الصدمة المفاجئة التي كانت تنتظرها ليليان... لم تظهر على وجهه أبداً!

بدلاً من الذهول والانكسار، كان وجه أدهم قطعة من الرخام الجامد البارد، وعيناه تشتعلان ببرود مرعب، ينبع من قمة الاشمئزاز والكره المطلق. نظر إلى الجثث، ثم نقل عينيه الجمرتين نحو ليليان التي كانت تقف بكامل أناقتها الفائقة وعجرفتها الطاغية. لم يتحرك رمش واحد في وجهها، بل بادلت نظراته بابتسامة ساخرة، مستفزة، وقالت بنبرة حادة كالشفرة:

— "لقد كانوا شهوداً غير مرغوب فيهم على تحركات شبكتي القديمة هنا يا أدهم... التخلص منهم كان مجرد خطوة روتينية لتأمين العرش. والآن... انكسر قناع البراءة الذي طالما لحقت به منذ صغرك، وها أنت تواجه الحقيقة العارية. وقع التنازل، فلن تنفعك ذكريات الطفولة الآن."

في تلك اللحظة بالذات، شعر أدهم وكأن الطفلة النقيّة التي أحبها منذ الصغر قد ماتت ودُفنت هنا تحت جثث هؤلاء الأبرياء، وأن من تقف أمامه الآن هي مجرد مسخ بشع يرتدي وجهها. تملكه برود ينتمي إلى قوانينه الخاصة كسفاح يقدس البراءة التي داست.عليها ليليان

تقدم نحوها بخطوات بطيئة، وإيقاعية، حابساً أنفاسه الغاضبة ليصهرها في جملة واحدة. نظر في عينيها الساحرتين مباشرة بنظرة خالية تماماً من أي مشاعر، نظرة حادة كالسكين جعلت كبرياءها يهتز للمرة الأولى، ثم قال بصوت خافت، رخيم، وقاتل:

"طوال حياتي، كنت أظن أنني الوحش الوحيد الذي يختبئ خلف قناع... لكنني اليوم أدركت أن قناعكِ كان أبشع بكثير. أنا أسفكِ للدماء، لكني أقدس البراءة التي دستِ عليها. في هذه اللحظة، ماتت الطفلة التي أحببتها منذ الصغر، ولم يتبقَ أمامي سوى مسخ مقزز... وأقسم لكِ، لقد ندمتُ على كل نبضة قلب ضاعت في حبكِ."

."

التفت أدهم ببطء شديد وبوقار أسطوري، دون أن ينتظر منها حرفاً واحداً أو تبريراً، وتراجع إلى الخلف يسير في ممرات الملجأ المظلمة وعيناه تشتعلان بكراهية عميقة ولدت للتو، وبداخله بدأ يتشكل ذلك الجوع والهوس العارم بالبحث عن نقاء حقيقي وبطلة أخرى يعوض بها ندم السنين... لتغلق خلفه صفحة الماضي، وتبدأ صفحة "هواس أدهم" الجديدة!
تجمد الهواء في ممرات الملجأ ، والصمت الذي أعقب كلماته كان أثقل من الرصاص. لم يلتفت أدهم إلى ليليان، بل سحب هاتفه المشفر ببرود وأجرى اتصالاً لم يستغرق سوى ثلاث كلمات

بصوت رخيم، قاطع:

— "نفذ البروتوكول الأسود."

ثم أغلق الخط، واختفى في عتمة الممر دون أن ينظر خلفه، تاركاً ليليان ومروان في قلب القبو حيث جثث البراءة المسلوبة.

مرت الساعات ثقيلة كالرصاص. كانت ليليان واقفة بكبريائها المتصدع، وعيناها الساحرتان تحدقان في الظلام الذي ابتلع أدهم. رغم وقوف مروان خلفها مستعداً لحمايتها، شعرت لأول مرة ببرد حقيقي يزحف إلى عظامها. "البروتوكول الأسود"؟ لم تسمع بهذا المصطلح من قبل في منظومة آل زهران.

بعد أربع ساعات، عاد وقع خطواته. لم يكن وقع خطوات هارب، بل وقع خطوات سيد عائد إلى عرشه.

خرج أدهم من الظلام. لم يكن الغضب يسيطر عليه، بل شيء أبرد وأكثر رعباً: *الهدوء المطلق*. كان قميصه الأبيض لا يزال نظيفاً رغم الرماد، وخصلة من شعره سقطت على جبهته أعطته مظهراً شيطانياً أنيقاً. وخلفه، كان يسير رجل في الثلاثينات، بملامح جامدة كالتمثال، يرتدي بدلة سوداء لا تحمل أي شارة.

توقف أدهم أمام ليليان، والمسافة بينهما لا تتجاوز شبراً. تجاهل وجود مروان تماماً، كأنه حشرة لا تستحق النظر. نظر في عينيها مباشرة، ونبرته خرجت هادئة لدرجة مخيفة:

— "تعرفين يا ليليان... أكبر خطأ ارتكبته في حياتك ليس قتل الأطفال هنا. الخطأ أنكِ ظننتِ أنني كنتُ أحبكِ."

اتسعت عيناها بصدمة، لكن قبل أن تنطق، أشار أدهم بإصبع واحد للرجل الذي يقف خلفه وقال ببرود:

— "هذا .على بعض. هذا 'ظلّي'. الشخص الوحيد الذي يعرف كل تحركاتي، وكل نقاط ضعفي... لأنه هو من صنعها."

تجمد الدم في عروق مروان. ليليان تراجعت خطوة للخلف، قناع العجرفة يسقط عن وجهها قطعة قطعة.

تابع أدهم وابتسامته الساحرة تتحول إلى شيء وحشي:

— "قبل سبع سنوات، في المستودع رقم 7... لم أكن هناك وحدي. ظلّي كان معي. والمحقق الذي ظننتما أنكما قتلتماه؟ لم يمت. كان جزءاً من اللعبة."

التفت أدهم نحو مروان، وضحكته الرخيمة دوّت في القبو:

– "أما أنت يا مروان... الساعة السويسرية التي تفتخر بها؟ مزيفة. اشتريتها لك قبل خمس سنوات. وكل تحركاتك، وكل همسة بينك وبين شقيقتك... كانت تصلني صوت وصورة. أنتما لم تخدعاني يوماً. أنا من سمحت لكما بالاعتقاد أنكما ربحتما."

ساد صمت مروع. ليليان كانت تحدق في "الظل"، وفجأة فهمت. كل حساباتها، كل خطوطها البديلة، كل خطوة عبقرية خطتها... كانت مكشوفة لرجل الظل هذا. لقد كانت هي الدمية طوال الوقت.

تقدم أدهم حتى لامس أنفاسه وجهها، وهمس بنبرة جعلت روحها ترتجف:

– "المستندات المادية التي جئتِ لأجلها؟ غير موجودة. هذا الملجأ... لم آتِ لأسترجع ماضيي. جئتُ لأدفنكِ فيه. البروتوكول الأسود لا يعني الهرب... بل يعني 'التطهير'."

في تلك اللحظة، دوى صوت أقفال إلكترونية ثقيلة تُغلق جميع مخارج الملجأ دفعة واحدة. الأضواء الحمراء الخافتة اشتعلت في أركان القبو، وبدأ صوت عد تنازلي ميكانيكي يملأ المكان:

"60... 59... 58..."

صرخ مروان وهو يتراجع للخلف: "ماذا فعلت يا مجنون؟! ستقتلنا جميعاً!"

أدهم لم ينظر إليه. عيناه كانتا على ليليان فقط، وشغفه القديم تحول إلى رماد، وحل محله هوس جديد... هوس الرعب.

– "لا يا مروان. أنت مجرد هامش. القصة دائماً كانت بيني وبينها."

أشار للظل الذي تراجع إلى الخلف واختفى في العتمة كأنه لم يكن.

اقترب أدهم من أذن ليليان، وصوته صار فحيح أفعى:

– "قلتِ إن المقابر هي أكثر الأماكن صمتاً؟ كنتِ محقة. والآن... سأمنحكِ الصمت الأبدي الذي تستحقينه. لكن (قبلها)، أريد أن أرى قناعكِ الحقيقي يسقط. أريد أن أسمعكِ تتوسلين."

"45... 44... 43..."

سقط قناع ليليان أخيراً. لم تعد الملاك الساحر، ولا الشريكة المتعجرفة. كانت الآن مجرد امرأة مرعوبة تحدق في الوحش الذي صنعته بيديها، وتدرك أنها لم تكن يوماً الصياد... بل كانت الطُعم منذ البداية.

والأدهى... أن أدهم لم يكن ينظر إليها كحبيبة خائنة، ولا كعدوة لدودة. كان ينظر إليها كتحفة فنية أخيرة سيوقع عليها بدمه قبل أن يحرق المعرض كله.

"30... 29... 28..."

*

كان البرود الذي يكسو ملامحه أشد رعباً من ألف صرخة.

نظر إلى عينيها الساحرتين مباشرة، وهمس بصوت رخيم لا يحمل أي أثر للحياة:
— "البروتوكول الأسود يا ليليان... ليس نظاماً رقمياً، ولا حساباً بنكياً. البروتوكول الأسود هو اسمي الثاني."

في تلك اللحظة، الرجل ذو البدلة السوداء خلفه رفع يده، وفيها جهاز تحكم صغير ضغط عليه مرة واحدة.

طااخ... طاااخ... طاااخ

دوت ثلاثة انفجارات مكتومة متتالية من أطراف المدينة. انفجارات لم يسمعها أحد، ولم تُسجل في أي مركز شرطة. لكن ليليان فهمت. كانت تعرف هذه النقاط الثلاث:
الأولى: مقر شركة "أبو فهد لتجارة الأعشاب" الوهمية.
الثانية: مستودع التخزين السري الذي يخفي فيه مروان ملفات الابتزاز.
الثالثة: اليخت "العنقاء الحمراء" الذي غرقت فيه ليليان المزيفة قبل ساعات.

شحب وجه مروان، وسقط المسدس من يده. همس برعب:
— "مستحيل... كيف عرفت بكل الأوكار؟"

أدهم لم ينظر إليه. عيناه لم تفارق وجه ليليان. اقترب خطوة حتى كاد يلامسها، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساحرة، لكنها هذه المرة كانت ميتة، خالية من أي دفء بشري:
— "أنا لم آتِ إلى الملجأ لأبكي على البراءة المفقودة يا ليليان. جئت لأتأكد من شيء واحد فقط... هل أنتِ المسخ الحقيقي، أم مجرد دمية أخرى؟"

قبل أن تنطق، أشار أدهم بإصبعه نحو السقف. وفجأة... *انطفأت كل الأنوار*.

ظلام دامس. صمت مطبق. ثم... صوت تنفس ثقيل، ليس تنفس أدهم ولا مروان ولا ليليان.

صوت رابع.

اشتعلت ولاعة أدهم الذهبية، ولهبها الأصفر كشف الكابوس.

في زاوية القبو، كان هناك كرسي خشبي. وعليه... يجلس رجل عجوز، يرتدي جلباباً أبيض ملطخاً بالدم، ويتكئ على عصا فضية. وجهه كان شاحباً كالموتى، وعيناه مفتوحتان على وسعهما.

العم طارق.

لكن العم طارق مات مسموماً قبل ساعات أمام عيني أدهم.

صرخ مروان بجنون:
— "مستحيل! أنا قتلته بنفسي! رأيته يموت!"

العجوز الميت رفع رأسه ببطء. صوته خرج مبحوحاً، متقطعاً، كأنه قادم من القبر:
— "قتلتني؟ لا يا ولدي... أنا متُّ قبل سبع سنوات. في المستودع رقم 7. أنا صاحب الجثة الأولى."

تجمدت الدماء في عروق ليليان. أدهم نفسه تراجع خطوة لا إرادية للمرة الأولى في حياته.

العجوز تابع وهو يشير بإصبع مرتجف نحو أدهم:
— "والصورة التي وصلتك يا أدهم... لم تكن تهديداً. كانت تحذيراً. الشاب الذي يحمل السلاح في الصورة... لم يكن أنت."

رفع العجوز يده المرتجفة، وبحركة بطيئة نزع قناعاً مطاطياً رقيقاً عن وجهه.

الوجه الذي ظهر تحته لم يكن وجه العم طارق.

كان وجه... *مروان*. لكنه مروان بنسخة أكبر بعشرين عاماً، بملامح محفورة بالألم والندوب.

المهندس تكلم أخيراً من خلفهم بصوت آلي:
— "أهلاً بك في الحقيقة يا أدهم زهران. مروان الذي تعرفه ليس مروان. إنه ابني. والرجل الذي دفنته في المستودع قبل سبع سنوات لم يكن المحقق... كان والدي. وأنت، وليليان، ومروان المزيف... كنتم مجرد بيادق في انتقامي."

ليليان شهقت. لأول مرة تسقط كل أقنعتها. التفتت نحو مروان بجنون:
— "أخي؟! من أنت بحق الجحيم؟!"

مروان المزيف ابتسم ابتسامة لم يرها أحد من قبل. ابتسامة باردة، ميتة، وقال:
— "اسمي الحقيقي... طارق. طارق زهران إبن العم الذي قتلته الليلة والذي كان مجرد ممثل رخيص استأجرته."

أدهم لم يتحرك. الولاعة انطفأت. الظلام عاد. لكن صوته خرج من العتمة رخيماً، هادئاً، لكنه يحمل وعيداً جديداً لم يسمعه أحد من قبل:
— "إذن... كلنا موتى نلعب في مقبرة. جيد. كنت أظن أنني الوحش الوحيد هنا."

طق... طق... طق

صوت خطوات جديدة قادمة من الممر. خطوات ناعمة، أنثوية.

وقف الجميع متجمدين.

من الظلام، ظهرت فتاة. ترتدي فستان أبيض بسيط، وعيناها تلمعان ببراءة قاتلة. كانت تشبه ليليان... لكن قبل أن يلوثها الدم والذهب.

نظرت إلى أدهم مباشرة، وابتسمت ابتسامة لم يرها منذ كان طفلاً، وقالت بصوت دافئ اخترق كل هذا الجحيم:
— "تأخرت يا أدهم. كنت أنتظرك من سبع سنوات."

أدهم همس دون وعي:
— "مستحيل... أنتِ متِ في الحريق..."

الفتاة هزت رأسها، وتقدمت حتى وقفت أمام ليليان، وقالت:
— "أنا ليليان الحقيقية. وهذه..." أشارت إلى ليليان المتجمدة، "أختي التوأم. الشيطانة التي سرقت اسمي، ووجهي، وقلبك."

في تلك اللحظة، كل الأقنعة سقطت.
كل الثوابت انهارت.
والوحش الحقيقي في صدر أدهم... استيقظ من جديد. ليس للانتقام، بل للبحث عن الحقيقة وسط هذه المقبرة.

تتمة الفصل - مقبرة الأسماء

الولاعة الذهبية أشعلها أدهم من جديد، لكن يده كانت ثابتة أكثر من أي وقت مضى. اللهب كشف أربعة وجوه: مروان المزيف - طارق الابن، ليليان الشيطانة، ليليان الحقيقية، وهو.

والمهندس؟ اختفى.

كأن الأرض ابتلعته. الشاشات ميتة، والباب الوحيد للقبو مغلق من الداخل. هم محبوسون مع جثة سبع سنوات، وشبحين، وحقيقة أقذر من الدم.

ليليان الحقيقية تقدمت خطوة. لا خوف في عينيها، فقط حزن بارد يقتل. نظرت إلى توأمها وقالت بصوت هادئ يذبح:
— "سبع سنين وأنتِ تلبسين وجهي، وصوتي، وحتى ندبتي الصغيرة فوق حاجبي. قتلتِ الأطفال هنا باسمي، وسرقتِ قلب الرجل الوحيد الذي أحبني باسمي. لكنكِ نسيتِ شيئاً واحداً يا أختي... أنا لا أموت."

ليليان الشيطانة تراجعت خطوة، كبرياؤها يتشقق لأول مرة. صرخت بهستيريا:
— "كاذبة! أنتِ متِ في حريق الميتم! أنا دفنتكِ بيدي!"

هزت الحقيقية رأسها، ورفعت كم فستانها الأبيض. على ذراعها، حرق بشع يمتد من الرسغ حتى الكوع.
— "لم تدفنيني. حرقتني وتركتني. لكن النار لا تقتل آل زهران يا أختي. النار تعمّدنا."

مروان المزيف - طارق - ضحك ضحكة مجنونة وهو يرفع مسدسه نحو أدهم:
— "عائلة مجانين! كل هذا لأجل اسم؟ لأجل إمبراطورية؟ والدي مات في المستودع لأنكم كنتم تلعبون لعبة العروش القذرة! والآن ستموتون جميعاً هنا، والقبو سيكون قبركم الجماعي!"

أدهم لم ينظر للمسدس. كان ينظر لليليان الحقيقية. لأول مرة منذ سنوات، الوحش داخله سكت. سأل بصوت رخيم بالكاد يُسمع:
— "كنتِ تنتظرينني؟"

أومأت. دمعة واحدة نزلت على خدها، حرقت المكان أكثر من النار:
— "كنت أعرف أنك ستعود للملجأ. المكان الوحيد الذي كنتَ فيه إنساناً. انتظرتك لأخبرك الحقيقة قبل أن يقتلك كذبها."

طااخ!

طلقة.

لكنها لم تكن من مسدس طارق.

طارق تجمد، ونظرة ذهول على وجهه. ثقب أحمر صغير ظهر في منتصف جبهته، وسقط كلوح خشب على الأرض.

من خلفه، في العتمة، وقف "المهندس". لكنه بدون القناع الزجاجي الآن.

كان وجهه... وجه أدهم. نسخة طبق الأصل، لكن بابتسامة ميتة وعينين فارغتين.

قال بصوت آلي يشبه صوت أدهم تماماً:
— "البروتوكول الأسود اكتمل. النسخ الاحتياطية فشلت. يبقى الأصل واحد فقط."

ليليان الشيطانة صرخت وركضت نحو المخرج، لكن الباب لم يفتح. ضربت بيديها، تصرخ، تتوسل.

المهندس - أدهم المزيف - رفع المسدس نحو أدهم الحقيقي وقال:
— "أنا أنت، لو اخترت الدم منذ سبع سنين ولم تتوقف. أنا صنعتك، صنعت مروان، صنعت ليليان. كل خطوة، كل جثة، كل قناع... أنا كتبته. والآن، الأصل يقتل النسخة، وأرث آل زهران يصبح لي وحدي."

أدهم لم يتحرك. نظر لليليان الحقيقية، ثم للشيطانة المنحشرة عند الباب، ثم لجثة طارق.

وفجأة... ضحك.

ضحكة رخيمة، عميقة، مجنونة، هزت القبو.
— "مهندس؟ نسخة؟" قال وهو يمسح دمعة وهمية من عينه. "أنت أغبى من مروان."

تقدم خطوة واحدة.
— "أنا أدهم زهران. لا أصنع نسخاً... أشتريها. وأنت..." أشار للرجل، "لست أنا. أنت مجرد جراح تجميل فاشل استأجرته عائلة زهران قبل 10 سنوات لصنع شبيه لي في حال تعرضت للاغتيال. الخطة كانت اسمها: البروتوكول الأسود. وأنا من أعطيت الأمر بإطلاقك اليوم، لأنني كنت أعرف أن هناك خائناً بيننا."

تجمد الأدهم المزيف. المسدس اهتز في يده.

أدهم أكمل وهو يخرج ولاعته الذهبية:
— "الفرق بيني وبينك؟ أنا لا أحتاج قناعاً لأكون وحشاً. والآن..."

رمى الولاعة المشتعلة نحو بركة البنزين المخفية تحت الأرضية الخشبية التي لم يلحظها أحد.

النار.

انفجر القبو.

آخر ما سُمع قبل أن يبتلع اللهب كل شيء هو صوت ليليان الحقيقية تصرخ: "أدهم!"

وصوته هو يجيب من قلب النار، هادئ، ساحر، مستفز:
— "لا تخافي... الوحوش لا تموت في النار. النار تعمّدنا."

بعد أسبوعين - جناح فاخر في مستشفى خاص، اسم المريض: مجهول

فتح عينيه. الضمادات تغطي نصف وجهه. الألم في كل شبر.

على الكرسي بجانبه، تجلس فتاة بفستان أبيض، وعلى ذراعها حرق قديم.

ليليان الحقيقية.

ابتسمت عندما رأته يصحو، وقالت بهمس:
— "حمداً لله على سلامتك... يا سيد القناع المكسور."

أدهم حاول الكلام، لكنه لم يستطع. نظر لعيونها، وسألها بعينيه سؤالاً واحداً: _والشيطانة؟_

هزت رأسها ببطء، والدموع تلمع في عينيها:
— "أختي... والمهندس... وطارق... كلهم راحوا في الحريق. الشرطة وجدت 4 جثث متفحمة. وأنت الخامس... لكنك الوحيد اللي قلبه ما زال ينبض."

سكتت، ثم اقتربت وهمست في أذنه بجملة جمدت الدم في عروقه رغم الضعف:
— "بس في شيء ما قلته لك في القبو يا أدهم... أنا ما نجوت من حريق الميتم قبل سبع سنين. أنا مُت. والدكتور قال إن قلبي توقف 3 دقايق كاملة... ولما رجعت، رجعت وأنا أشوف أشياء... أشخاص ميتين. مثل الرجل العجوز اللي كان قاعد على الكرسي في القبو."

أدهم تجمد.
العم طارق؟ كان حقيقي؟

ليليان أكملت وهي تمسك يده الباردة:
— "والآن يا أدهم... فيه واحد واقف وراك من ساعة. يقول إنه أبوك. ويقول إن اللعبة... ما انتهت بعد."

ببطء، وبألم شديد، أدار أدهم رأسه نحو زاوية الغرفة الفارغة.

والكرسي هناك... كان يهتز.

لا ريح في الغرفة، والنافذة مغلقة.

اهتزاز بطيء، منتظم، كأن شخصاً ثقيلاً يجلس عليه ويهز ساقه بملل.

ليليان ضغطت على يد أدهم بقوة، أظافرها انغرست في جلده المحروق. همست وعيناها لا تفارق الكرسي:
— "هو هنا. يقول... إنه زعلان لأنك أحرقته حياً قبل 10 سنوات."

تجمد الدم في عروق أدهم. أبوه. عزت زهران. الإمبراطور الذي مات في "حادث سيارة" غامض قبل عشر سنوات. الحادث الذي دبره أدهم بنفسه ليرث العرش وهو في التاسعة عشرة.

حاول أن يصرخ، أن ينادي الممرضة، لكن صوته خرج مبحوحاً ميتاً من الحبال الصوتية المحترقة.

طق... طق... طق

صوت عصا. نفس العصا الفضية التي كان العم طارق يتكئ عليها. لكن طارق مات. محروقاً.

الكرسي توقف عن الاهتزاز فجأة.

ومن العدم، بدأ ضباب أسود كثيف يتشكل فوقه. الضباب أخذ يلتف، يتكثف، حتى رسم ملامح رجل. طويل، عريض، يرتدي بدلة سوداء فاخرة محترقة الأطراف. وجهه نصفه سليم، ونصفه الآخر متفحم، وعين واحدة تلمع بجمر أحمر.

عزت زهران.

فتح فمه، والصوت خرج من كل زوايا الغرفة، كأنه يأتي من الجدران:
— "ظننت النار تطهر يا ولدي؟ النار التي قتلتني... ولدتني من جديد. كنت أراقبك يا أدهم. كل جثة، كل قناع، كل امرأة أحببتها... أنا من وضعتها في طريقك."

ليليان شهقت وتراجعت حتى التصقت بالحائط. همست برعب:
— "هو ما يشوفنا... هو يكلمك أنت بس. أنا أشوفه لأني ميتة مثله. أنت عايش... كيف تشوفه؟"

أدهم فهم. البروتوكول الأسود. الانفجار. النار. قلبه توقف لثوانٍ وهو تحت الأنقاض قبل أن ينقذوه.

هو مات أيضاً.

ورجع.

عزت تقدم خطوة، والأرضية الخشبية تحت قدميه تصدر صوت فحم يتكسر:
— "اللعبة لم تنتهي هنا يا أدهم، لأنك لعبتها بنرجسية ظننت أنك الوحيد الذي يجيد اللعب (ضحكة مستفزة). قتلتني لتأخذ العرش، لكن العرش ملعون. كل من جلس عليه... يُسجن هنا. معي. طارق هنا، ومروان هنا، وأختها الشيطانة هنا. كلهم يصرخون في الظلام. والآن دورك تنضم للعائلة."

رفع يده المتفحمة، وفيها نفس الولاعة الذهبية. ولاعة أدهم.
— "سقطت منك في القبو. احتفظت بها. تريدها؟ تعال خذها... إذا تجرأت تلمس يد ميت."

الغرفة بدأت تبرد. برد قارس ينخر العظم. أنفاسهم تتحول لبخار. الأجهزة الطبية بدأت تصفر بجنون، والنبض على الشاشة يهبط... 60... 40... 30...

ليليان صرخت بأدهم:
— "أدهم! لا ترد عليه! لا تعطيه اسمك! إذا اعترفت إنه أبوك... بيأخذك! هذا قانونهم!"

أدهم ينظر للولاعة. لذكرى القوة. للسيطرة. للكبرياء. وينظر لأبوه. للجحيم الذي ينتظره.

بصعوبة، ببطء، رفع يده المحروقة. وأشار بإصبعه لأبوه، وبصوت مكسور لكنه يحمل كل عجرفة آل زهران قال:

— "أنا... لا أعترف... بأشباح. وأنت... لست أبي. أبي مات... كلب... في سيارة... وأنا دفنته."

صرخة شقت الغرفة. ليست صرخة أدهم.

صرخة عزت.

الضباب انفجر، والكرسي تحطم، والولاعة الذهبية سقطت على الأرض.

الأجهزة سكتت. النبض رجع: 80... 90...

الحرارة عادت للغرفة.

ليليان ركضت له، تبكي، تضمه. تهمس:
— "راح. طردته. أنت أقوى منهم كلهم يا أدهم."

أدهم يتنفس بصعوبة، يمسك الولاعة المرمية على الأرض. باردة كالثلج. يضمها في يده.

لكن قبل أن يبتسم، سمع همساً خافتاً جداً، من تحت السرير:
— "أحسنت يا ولدي... الاختبار الأول نجحت فيه. لكن اللعنة... لها سبع بوابات. وهذه كانت الأولى فقط."

وتحت السرير، عينان حمراوان تفتحان في الظلام.

بعد ذلك... انكسر كل شيء

مرت ساعة كاملة وأدهم ممسك بالولاعة الباردة كالثلج، وليليان الحقيقية تضم يده وتحاول تدفئته بكلماتها. الممرضة دخلت، فحصت الأجهزة، ابتسمت بارتياح وقالت: "كوابيس ما بعد الحادث طبيعية يا سيد أدهم. لا أشباح هنا." وخرجت.

أغلق الباب. الصمت عاد.

ليليان مسحت دمعة من خدها، واقتربت حتى لامست جبينه بشفتيها. همست:
— "خلاص يا أدهم. انتهى. أنت انتصرت عليهم. علي وعلى أختي وعلى الموت. أنا هنا... وهذا يكفي."

لأول مرة منذ عشر سنوات، أدهم زهران أغمض عينيه براحة. الوحش داخله نام. لأول مرة يثق. يثق بامرأة. يثق بملاكه الحقيقي.

همس بصوت مكسور:
— "لا تتركيني... أنتِ الوحيدة الصادقة في هذه المقبرة."

ابتسمت له. ابتسامة دافئة، نقية، نفس الابتسامة التي أحبها وهو طفل.
— "عمري ما أتركك. أقسم لك."

مدت يدها إلى كوب الماء على الطاولة، قربته من شفتيه.
— "اشرب. لازم ترتاح. الدكتور قال الحرق في حنجرتك يحتاج سوائل."

شرب. الماء كان بارداً، مالحاً قليلاً. لكنه يثق بها.

بعد ثلاث رشفات، بدأ العالم يدور. السقف يتحرك. صوت الأجهزة يصبح بعيداً... بعيداً جداً.

حاول يرفع يده، لكن ذراعه ثقيلة كالرصاص.

ليليان ما زالت تبتسم. نفس الابتسامة. لكن عينيها... تغيرتا.

البراءة اختفت. وحل محلها برود قاتل، نفس البرود الذي كان في عيون توأمها الشيطانة.

ببطء، سحبت من تحت وسادته ولاعته الذهبية التي كان يتمسك بها. قلبتها في يدها، ثم نظرت إليه، وقالت بصوت هادئ، خالٍ من أي ندم:

— "آسفة يا أدهم. بس أنت غبي."

تجمد الدم في عروقه. المخدر بدأ يسيطر، لكن عقله يصرخ.

أكملت وهي تمسح على شعره بحنان كاذب:
— "أنا ليليان الحقيقية فعلاً. ومت فعلاً قبل سبع سنين. واللي رجع من الموت... ما كنت أنا. كان هي. أختي."

العالم اسود.

— "أختي الشيطانة ماتت في القبو صحيح... لكن قبل ما تموت، علمتني كل شيء. كيف أقلد صوتها، كيف أقلد حرقها، كيف أبكي. أنا كنت ميتة، وهي سكنت جسدي. صرنا واحدة. ولعبت عليك اللعبة الأكبر."

وقفت. عدلت فستانها الأبيض. لم تعد ملاكاً. كانت شيطاناً يرتدي قناع الملاك.

— "البروتوكول الأسود؟ أبوك؟ الكرسي اللي يهتز؟" ضحكت ضحكة خافتة، مرعبة. "كل هذا من تخطيطي. كنتِ لازم تكسرك. لازم تثق فيني. لازم تنام. لأن أدهم زهران صاحي... لا يُقهر. لكن أدهم زهران النايم، الواثق، المحطم... مجرد جثة تنتظر التوقيع."

أخرجت من جيبها ورقة. عقد تنازل كامل عن كل أملاك آل زهران. وبجانبها، قلم.

أمسكت يده المرتخية، وغرست القلم بين أصابعه، وبدأت تحرك يده لتوقّع.

همست في أذنه، وصوتها يقطر سماً وعسلاً:
— "ششش... لا تقاوم. أنت قلتها بنفسك... لا تتركيني. وأنا أوفي بوعدي. ما راح أتركك... إلا في الجحيم."

آخر ما شعر به قبل أن يغيب عن الوعي تماماً هو شفتيها تلامس أذنه بقبلة باردة، وصوتها:
— "شكراً على ثقتك يا سيد القناع المكسور. كانت ألذ وجبة."

...كانت ألذ وجبة...

...تذوقتها في حياتي."

أكملت الجملة وهي تلعق بقايا أحمر الشفاه عن شفتيها، ثم رمت القلم على صدر أدهم الساكن. الحبر الأسود على الورقة كان يلمع تحت ضوء المستشفى الباهت، كأنه دم توه جف.

وقفت أمام المرآة، عدّلت خصلات شعرها بهدوء قاتل. الانعكاس لم يظهر ليليان الحقيقية، ولا الشيطانة. كان يظهر شيئاً ثالثاً. شيئاً ولد من رماد الاثنتين.

طرق خفيف على الباب. دخل رجل ببدلة سوداء، وجهه مألوف حد الألم.

مروان.

لكن ليس مروان الأخ، ولا مروان المزيف. هذا مروان الحقيقي. عيونه ميتة، وفي رقبته ندبة خياطة بشعة تمتد من الأذن للأذن.

قال بصوت أجش بلا روح:
— "خلصتي؟"

هزت رأسها وهي تلبس قفازاً جلدياً أسود، وأخذت الولاعة الذهبية من الطاولة.
— "خلصت. الوحش نايم، والعرش فاضي. البروتوكول الأسود صار باسمي."

مروان نظر لجسد أدهم. لا شفقة، لا شماتة. فقط فراغ.
— "وذكرى أختك؟ دفنتيها معاه؟"

ضحكت. ضحكة قصيرة، فارغة، أصعب من الصراخ:
— "أختي ماتت مرتين. مرة بالنار، ومرة لما قررت ألبس جلدها عشان أكسره هو. الثأر يا مروان ما يعرف الأسماء. يعرف الدم فقط."

اقتربت من سرير أدهم، انحنت وهمست في أذنه الصماء:
— "نوم العوافي يا سيد القناع المكسور. لما تصحى... إذا صحيت... راح تلاقي نفسك شحاذ.

وأنا؟ راح أكون أنت. بس بنسخة ما تعرف الرحمة."

أشعلت الولاعة الذهبية. اللهب انعكس في عينيها، ولأول مرة ظهرت حقيقتها كاملة: لا ليليان، ولا الشيطانة. هي الوريثة الثالثة التي محاها عزت زهران من السجلات قبل أن تولد. الطفلة المنسية التي ربّاها على الكره في قبو، وأطعمها لحم إخوتها كي تكبر.

— "أبي علمني درس واحد يا أدهم: الثقة مقبرة. وأنت حفرت قبرك بيدك لما وثقت في ملاك."

أطفأت الولاعة. الغرفة غرقت في ظلام.

بعد شهر - مكتب آل زهران، الطابق 70

الكرسي الجلدي الأسود استدار ببطء. عليه تجلس امرأة بفستان أسود، شعرها مرفوع بكبرياء، وفي يدها ولاعة ذهبية.

على المكتب الأبنوسي، ملف مكتوب عليه بخط أحمر: *"الحالة: أدهم زهران - موت سريري - جناح 13"*.

دخل السكرتير، انحنى:
— "سيدتي ليليان، وزراء المال ينتظرون توقيعك على صفقة الميناء."

لم ترد. كانت تنظر من النافذة الزجاجية الضخمة للمدينة التي دهستها بكعبها.

في الأسفل، في مستشفى المجانين الحكومي، غرفة بلا نوافذ.

رجل مربوط بأحزمة جلدية على سرير حديدي. نصفه محروق، عيونه مفتوحة على وسعها، تحدق في السقف. لا يرمش.

على صدره، بطاقة مكتوب عليها: *"نزيل: مجهول - فاقد الذاكرة والهوية"*.

كل ليلة، عند الساعة 3 فجراً، الكرسي بجانبه يهتز.

ويجلس عليه أربعة أشباح: عزت، طارق، مروان، وليليان الشيطانة.

يهمسون له بصوت واحد:
— "أحسنت يا ولدي... الاختبار الثاني بدأ. جائع؟ الوجبة القادمة... هي عقلك."

وهو لا يستطيع الصراخ.
لأنهم قطعوا حباله الصوتية... بطلب موقع منه.*...موقع منه...*

بخط يده. بتاريخ يسبق الانفجار بيومين.

الورقة كانت في ملف ليليان على المكتب الأبنوسي. "إقرار طبي: في حال تعرضت لحادث، أفوض الآنسة ليليان زهران باتخاذ كافة الإجراءات الطبية اللازمة، بما فيها إسكاتي للأبد إذا نطقت بالحقيقة."

كان واثق فيها لدرجة أنه وقّع موته بصمته.

مستشفى المجانين - الساعة 3:07 فجراً

الأشباح الأربعة على الكرسي تبتسم. عزت زهران المتفحم يميل على أذن أدهم المربوط ويهمس بصوت يشبه احتكاك الزجاج:
— "شفت يا ولدي؟ أنا ما خنتك. أنت خنت نفسك. الثقة هي المشنقة اللي تلفها على رقبتك بيدك."

ليليان الشيطانة تمد يدها الطيفية وتلمس الندبة على رقبته. باردة. ميتة.
— "توجع؟ هذا صوتك اللي كان يأمر ويقتل. قطعناه عشان نرتاح من كبريائك."

مروان المذبوح يضحك بلا صوت، والدم ما زال ينزف من ندبة عنقه:
— "كنت فاكر إنك الوحش الوحيد؟ كلنا وحوش يا أدهم. الفرق إنك كنت الوحش الغبي اللي يحب."

أدهم يحاول يصرخ، يشتم، يستغيث. لا شيء يخرج. حلقه محفور. صوته مدفون مع قناعه.

وفجأة... باب الغرفة الحديدي ينفتح بصرير.

ليست ممرضة. وليست ليليان الجديدة.

رجل ببدلة بيضاء، وجهه نصفه مغطى بشاش طبي، وفي يده ولاعة ذهبية.

يجلس على طرف السرير، ينظر لأدهم المربوط، ويبتسم ابتسامة يعرفها أدهم جيداً.

ابتسامته هو.

— "مساء الخير... يا أنا." قالها بصوت أدهم الرخيم. نفسه. طبق الأصل.

أدهم المربوط اتسعت عيونه برعب لم يعرفه حتى في القبو.

الأدهم الواقف أكمل وهو يقلب الولاعة بين أصابعه:
— "نسيتني؟ أنا البروتوكول الأسود. النسخة اللي صنعتها بيدك قبل 10 سنين. الجراح ما كان فاشل... كان ناجح جداً. وأمر التفعيل كان موت الأصل. وانت... مت سريرياً من أسبوع. يعني قانونياً؟ أنا أدهم زهران الآن."

مال على أذن أدهم المربوط وهمس:
– "والمضحك؟ ليليان ما خانتك. هي تنفذ أوامري من أول يوم. الثأر؟ الملجأ؟ الحريق؟ كلها خطتي. كنت لازم تكسرك عشان تطلع من اللعبة، وأرث كل شيء نظيف. حتى كبريائك... صار ملكي."

أخرج من جيبه عقد الزواج. باسم أدهم زهران وليليان زهران. موقع. مختوم.
– "تزوجتها أمس. في جناحك. وانت كنت شاهد... نايم. الثقة يا... أنا... هي إنك تمضي على كفنك وتسميه عقد حب."

وقف، عدّل سترته، ورمى الولاعة الذهبية على صدر أدهم المربوط. باردة. ثقيلة كقبر.

– "استمتع بوجبتك الأبدية. أنا رايح أحكم إمبراطوريتك، وأنام في سريرك، وباسمك.
والأشباح؟" أشار للأربعة الجالسين على الكرسي "خليهم يونّسوك. هم الضمير اللي قتلته زمان."

خرج. الباب انقفل.

الأشباح الأربعة وقفت. اقتربت من السرير. عزت يمسك الولاعة الباردة ويضعها في فم أدهم المفتوح قسراً.

– "ابلع قناعك يا ولدي. هذا عشاك الليلة. وكل ليلة."

والكرسي في الزاوية...
عاد يهتز.
لكن هذه المرة، الجالس عليه هو أدهم.
أدهم الحقيقي.
ينظر لجسده المربوط على السرير... ويبتسم.

لأن الوحش الحقيقي ؛ الوحش الحقيقي هو من يتظاهر بالبراءة بينما يخفي نوايا سيئة.الباب الحديدي، وابتلع الصدى آخر ذرات الضوء في الغرفة المظلمة.

على السرير، لم يعد "الوحش المكسور" يملك صوتاً ليصرخ به. حباله الصوتية المبتورة أطلقت فحيحاً يائساً، يشبه احتكاك الشفرات بالصدأ. نظر حوله برعب؛ لم يكن بمفرده. الضباب الأسود بدأ يتكاثف مجدداً، وعزت زهران عاد ليرفع ولاعته الذهبية الوهمية، بينما ليليان المزيفة تقف عند زاوية السرير وتبتسم ببراءة شيطانية مألوفة.

همس عزت في أذنه ببرود:

– "الآن بدأت اللعبة الحقيقية يا ولدي.. مرحباً بك في عرشك الأبدي."

في تلك الأثناء، في الطابق الـ 70 من مكتب آل زهران...

كان أدهم الحقيقي يقف أمام النافذة الزجاجية الضخمة، يراقب المدينة التي تمددت تحت قدميه كأرجوحة من الضوء والظلام. نزع الشاش الطبي عن وجهه ببطء، ليتأمل ملامحه الحادة والنقية في انعكاس الزجاج. لا حروق، لا ندوب، ولا ذكريات مشوهة عن قبو مظلم. فقط ملامح إمبراطور وُلد ليمتلك كل شيء.

دلف مروان —المزيف الحقيقي هذه المرة، بسلوكه الهادئ وجسده السليم— ووقف خلفه باحترام:

— "سيدي، كل شيء تم كما خططت له طوال عشر سنوات. البروتوكول الأسود دُفن تماماً مع تلك النسخة المشوهة في الأسفل. وليليان... تنتظرك في قاعة الاحتفال."

التفت أدهم، وأعاد وضع الولاعة الذهبية الحقيقية في جيب سترته. ارتسمت على شفتيه نفس الابتسامة الدافئة والنقية التي خدعت العالم؛ الابتسامة التي لا يمكن لأحد أن يتوقع حجم السم الكامن خلفها.

— "ممتاز يا مروان. تأكد فقط من أن مستشفى المجانين الحكومي لا يصله أي زائر.. فالأشباح تحتاج إلى الخصوصية لتربي وحشاً جديداً."

خطا نحو الخارج بخطوات واثقة، تاركاً خلفه إرثاً من الدماد والنار، ومستعداً لارتداء قناع البراءة الأبدي أمام مجتمع لا يعرف أن الإمبراطور الذي يحكمهم الآن.. هو الشيطان الأكبر الذي أدار اللعبة من خلف الستار طوال الوقت. (بعد شهر من الحادثة)انفتحت أبواب قاعة الاحتفال الكبرى، لتسلط كل الأضواء على "الإمبراطور" العائد من الموت.

تعالت الهتافات وتصفيق رجال المال والسياسة الذين انحنوا احتراماً له. خطا أدهم الحقيقي وسط الحشود بثقة مطلقة، مرتدياً بدلته السوداء الفاخرة التي لم تلمسها ذرة رماد واحدة. كانت ملامحه الوسيمة تشع بنصر خالص، وعيناه تحملان بريق شخص امتلك العالم أخيراً بشروطه الخاصة.

اقتربت منه ليليان —ليليان الحقيقية، بكامل أناقتها وذكائها الحاد— وحملت كأساً لتقدمه له وهي تبتسم ابتسامة حقيقية مشبعة بالرضا. لم تكن هناك دماء، ولا عقاقير مخدرة، بل شراكة حقيقية بنيت على أنقاض عائلة عزت زهران.

همست له بنبرة دافئة وخافتة وسط صخب الموسيقى:

— "لقد تخلصنا من كل الأشباح يا أدهم.. العرش الآن نظيف تماماً، وباسمك وحدك."

التفت إليها، وأخذ الكأس مستمتعاً بمذاق الانتصار السعيد. نظر من خلال النوافذ البلورية الشاهقة إلى المدينة الممتدة أمامه، وشعر بنشوة القوة تجري في عروقه. كل العذاب، وكل التخطيط، والسنوات العشر التي قضاها في الظل يصنع نسخته المشوهة ليمحو بها ماضيه، قد آتت أكلها الآن.

لقد مات "أدهم الضحية" في القبو إلى الأبد، ووُلد "أدهم الإمبراطور" الذي لا يمكن قهرُه.

رفع كأسه عالياً أمام الجميع، وارتسمت على شفتيه ابتسامة النصر المطلق، بينما كان يهمس لنفسه بامتنان عميق لذكائه الشرير:

— "طالما أن التاريخ يكتبه المنتصرون... فالعالم من اليوم سيركع لإمبراطوريتنا السعيدة."التفت إليها، وأنزال الكأس من يده ليضعه جانباً. نظر إلى عينيها اللامعتين، تلك العيون التي لم تخذله يوماً، والتي كانت ملاذه الوحيد وسط كل هذا الجنون.

مد يده ببطء ليمسك يدها، ويسحبها إليه برفق حتى تلاقت نظراتهما عن قرب. اختفت كل ملامح البرود والغطرسة التي كان يواجه بها العالم، وحلّ مكانها دفء حقيقي لا يظهره إلا لها هي وحدها.

همس لها بنبرة هادئة ومليئة بالحب:

— "العالم كله قد يركع لعروشنا يا ليليان... لكن هذا العرش لا قيمة له إن لم تكوني أنتِ الملكة التي تقاسمني إياه. لقد انتصرنا لأننا معاً."

ابتسمت ليليان ابتسامة صافية، مالت برأسها على صدره الواثق، وشعرت لأول مرة بالأمان المطلق بعد سنوات الخوف والترقب. أحكم أدهم قبضته على يدها، متطلعاً معها من النافذة الشاهقة إلى أضواء المدينة التي باتت ملكاً لهما.

لم يكن هناك مكان للأشباح، ولا للماضي المؤلم. فقط هما الاثنين، يداً بيد، مستعدين لبدء عهد جديد ومستقبل سعيد ومشرق في إمبراطوريتهما التي بنياها بحب وذكاء لا يُقهر.أمسك أدهم القلم بيده الواثقة، ووقع على وثيقة الزواج الرسمية، لتتبعه ليليان وتوقع باسمها بجانبه، ليعلن الموثق زواجهما شرعاً وقانوناً وتصبح ملكته رسمياً أمام العالم. انحنى وقبّل يدها برقة واحترام، ثم غادر مروان الغرفة مستأذناً وأغلق الأبواب المزدوجة خلفه، ليعزل صخب العالم الخارجي تماماً، ويترك الجناح الشاهق ينعم بهدوء تام وخاص بهما وحدهما.

التفت أدهم إليها، وأنزل الكأس من يده ليضعه جانباً. نظر إلى عينيها اللامعتين، تلك العيون التي لم تخذله يوماً، والتي كانت ملاذه الوحيد وسط كل هذا الجنون.

مد يده ببطء ليمسك يدها، ويسحبها إليه برفق حتى تلاقت نظراتهما عن قرب. اختفت كل ملامح البرود والغطرسة التي كان يواجه بها العالم، وحلّ مكانها دفء حقيقي لا يظهره إلا لها هي وحدها كزوجة وحبيبة.

همس لها بنبرة هادئة ومليئة بالحب:

— "العالم كله قد يركع لعروشنا يا ليليان... لكن هذا العرش لا قيمة له إن لم تكوني أنتِ الملكة التي تقاسمني إياه. لقد انتصرنا لأننا معاً."

ابتسمت ليليان ابتسامة صافية، ومالت برأسها على صدره الواثق، وشعرت لأول مرة بالأمان المطلق بعد سنوات الخوف والترقب. أحكم أدهم قبضته على يدها، متطلعاً معها من النافذة الشاهقة إلى أضواء المدينة التي باتت ملكاً لهما.

لم يكن هناك مكان للأشباح، ولا للماضي المؤلم. استدار بها ببطء لتصبح في مواجهته تماماً، محاصرة بين ذراعيه القويتين. رفعت ليليان يديها الرقيقتين لتطوق عنقه، وتغلغلت أصابعها في شعره الأسود، بينما كان يتأمل تفاصيل وجهها بنظرات مليئة بالهيام والشغف.

وانحنى نحوها ببطء شديد، ليتلاقى ثغراهما في قبلة عميقة، طويلة، ومشتعلة؛ قبلة اختصرت سنوات من الانتظار والشوق في الظلام. امتص شفتيها بنعومة بالغة وفي نفس الوقت برغبة تملؤها العاطفة النظيفة، كأنه يستمد منها الحياة ويعوض كل لحظة بُعد عاشها. تجاوبت معه ليليان بكل جوارحها، وأغمضت عينيها مستسلمة تماماً لدفء أنفاسه وحرارة شفتيه التي أذابت كل مخاوفها. غرقا معاً في تلك اللحظة الحميمية الساحرة، وتلاقت الأنفاس وتسارعت دقات قلبيهما لتعزف لحناً واحداً ينبض بالعشق الخالص، وهو يضمها إليه أكثر كأنه يحاول إدخالها بين ضلوعه للأبد.

عندما ابتعد عنها أخيرًا ليتيح لهما التقاط الأنفاس، لم تنتهِ اللحظة؛ بل حملها برفق بين ذراعيه ليتوجها معاً نحو أريكة مريحة ودافئة في زاوية الغرفة الهادئة. جلس وجعلها ترتاح في حضنه، محاطة بذراعيه الواثقتين، بينما أسندت هي رأسها على كتفه، مغمضة عينيها باطمئنان لم تعرفه من قبل.

وظلا هكذا طوال الليل، يتبادلان الأحاديث الخافتة، والوعود بمستقبل مشرق، وقبلات صغيرة وحنونة على جبينها ويديها كلما ساد الصمت. كانت ليلتهما الأولى كزوجين مليئة بالسلام التام والاتحاد الروحي العتيق، يداً بيد، مستعدين لبدء عهد جديد ومستقبل سعيد ومشرق في إمبراطوريتهما التي بنياها بحب وذكاء لا يُقهر.
أمسك أدهم القلم بيده الواثقة، ووقع على وثيقة الزواج الرسمية، لتتبعه ليليان وتوقع باسمها بجانبه، ليعلن الموثق زواجهما شرعاً وقانوناً وتصبح ملكته رسمياً أمام العالم. انحنى وقبّل يدها برقة واحترام، ثم غادر مروان الغرفة مستأذناً وأغلق الأبواب المزدوجة خلفه، ليعزل صخب العالم الخارجي تماماً، ويترك الجناح الشاهق ينعم بهدوء تام وخاص بهما وحدهما.
التفت أدهم إليها، وأنزل الكأس من يده ليضعه جانباً. نظر إلى عينيها اللامعتين، تلك العيون التي لم تخذله يوماً، والتي كانت ملاذه الوحيد وسط كل هذا الجنون.
مد يده ببطء ليمسك يدها، ويسحبها إليه برفق حتى تلاقت نظراتهما عن قرب. اختفت كل ملامح البرود والغطرسة التي كان يواجه بها العالم، وحلّ مكانها دفء حقيقي لا يظهره إلا لها هي وحدها كزوجة وحبيبة.
همس لها بنبرة هادئة ومليئة بالحب:
— "العالم كله قد يركع لعروشنا يا ليليان... لكن هذا العرش لا قيمة له إن لم تكوني أنتِ الملكة التي تقاسمني إياه. لقد انتصرنا لأننا معاً."
ابتسمت ليليان ابتسامة صافية، ومالت برأسها على صدره الواثق، وشعرت لأول مرة بالأمان المطلق بعد سنوات الخوف والترقب. أحكم أدهم قبضته على يدها، متطلعاً معها من النافذة الشاهقة إلى أضواء المدينة التي باتت ملكاً لهما.

لم يكن هناك مكان للأشباح، ولا للماضي المؤلم. استدار بها ببطء لتصبح في مواجهته تماماً، محاصرة بين ذراعيه القويتين. رفعت ليليان يديها الرقيقتين لتطوق عنقه، وتغلغلت أصابعها في شعره الأسود، بينما كان يتأمل تفاصيل وجهها بنظرات مليئة بالهيام والشغف.
وانحنى نحوها ببطء شديد، ليتلاقى ثغراهما في قبلة عميقة، طويلة، ومشتعلة؛ قبلة اختصرت سنوات من الانتظار والشوق في الظلام. امتص شفتيها بنعومة بالغة وفي نفس الوقت برغبة تملؤها العاطفة النظيفة، كأنه يستمد منها الحياة ويعوض كل لحظة بُعد عاشها. تجاوبت معه ليليان بكل جوارحها، وأغمضت عينيها مستسلمة تماماً لدفء أنفاسه وحرارة شفتيه التي أذابت كل مخاوفها. غرقا معاً في تلك اللحظة الحميمية الساحرة، وتلاقت الأنفاس وتسارعت دقات قلبيهما لتعزف لحناً واحداً ينبض بالعشق الخالص، وهو يضمها إليه أكثر كأنه يحاول إدخالها بين ضلوعه للأبد.
عندما ابتعد عنها أخيرًا ليتيح لهما التقاط الأنفاس، لم تنتهِ اللحظة؛ بل حملها برفق بين ذراعيه ليتوجها معاً نحو أريكة مريحة ودافئة في زاوية الغرفة الهادئة. جلس وجعلها ترتاح في حضنه، محاطة بذراعيه الواثقتين، بينما أسندت هي رأسها على كتفه، مغمضة عينيها باطمئنان لم تعرفه من قبل.
وظلا هكذا طوال الليل، يتبادلان الأحاديث الخافتة، والوعود بمستقبل مشرق، وقبلات صغيرة وحنونة على جبينها ويديها كلما ساد الصمت. كانت ليلتهما الأولى كزوجين مليئة بالسلام التام والاتحاد الروحي العتيق، يداً بيد، مستعدين لبدء عهد جديد ومستقبل سعيد ومشرق في إمبراطوريتهما التي بنياها بحب وذكاء لا يُقهر.أمسك أدهم القلم بيده الواثقة، ووقع على وثيقة الزواج الرسمية، لتتبعه ليليان وتوقع باسمها بجانبه، ليعلن الموثق زواجهما شرعاً وقانوناً وتصبح ملكته رسمياً أمام العالم. انحنى وقبّل يدها برقة واحترام، ثم غادر مروان الغرفة مستأذناً وأغلق الأبواب المزدوجة خلفه، ليعزل صخب العالم الخارجي تماماً، ويترك الجناح الشاهق ينعم بهدوء تام وخاص بهما وحدهما.
التفت أدهم إليها، وأنزل الكأس من يده ليضعه جانباً. نظر إلى عينيها اللامعتين، تلك العيون التي لم تخذله يوماً، والتي كانت ملاذه الوحيد وسط كل هذا الجنون.
مد يده ببطء ليمسك يدها، ويسحبها إليه برفق حتى تلاقت نظراتهما عن قرب. اختفت كل ملامح البرود والغطرسة التي كان يواجه بها العالم، وحلّ مكانها دفء حقيقي لا يظهره إلا لها هي وحدها كزوجة وحبيبة.
همس لها بنبرة هادئة ومليئة بالحب:
— "العالم كله قد يركع لعروشنا يا ليليان... لكن هذا العرش لا قيمة له إن لم تكوني أنتِ الملكة التي تقاسمني إياه. لقد انتصرنا لأننا معاً."
ابتسمت ليليان ابتسامة صافية، ومالت برأسها على صدره الواثق، وشعرت لأول مرة بالأمان المطلق بعد سنوات الخوف والترقب. أحكم أدهم قبضته على يدها، متطلعاً معها من النافذة الشاهقة إلى أضواء المدينة التي باتت ملكاً لهما.
لم يكن هناك مكان للأشباح، ولا للماضي المؤلم. استدار بها ببطء لتصبح في مواجهته تماماً، محاصرة بين ذراعيه القويتين. رفعت ليليان يديها الرقيقتين لتطوق عنقه، وتغلغلت أصابعها في شعره الأسود، بينما كان يتأمل تفاصيل وجهها بنظرات مليئة بالهيام والشغف.
بينما أسندت هي رأسها على كتفه، مغمضة عينيها باطمئنان لم تعرفه من قبل.
وظلا هكذا طوال الليل، يتبادلان الأحاديث الخافتة، والوعود بمستقبل مشرق، كانت ليلتهما الأولى كزوجين مليئة بالسلام التام والاتحاد الروحي العتيق، يداً بيد، مستعدين لبدء عهد جديد ومستقبل سعيد ومشرق في إمبراطوريتهما التي بنياها بحب وذكاء لا يُقهر."وهكذا، أُغلقت الدفاتر القديمة بآلامها وأشباحها، ورُفعت الأقنعة التي أثقلت الوجوه لسنوات. لم يعد هناك مكان

للنسخ المشوهة أو الوحوش المكسورة؛ فالتاريخ كُتب بأيدي المنتصرين الذين صمدوا في وجه العاصفة. ومع بزوغ فجر جديد على المدينة الشاهقة، بدأت إمبراطورية أدهم وليليان تحت ميثاق الزواج والوفاء، لتثبت الأيام أن أعتى الخطط وأقوى العروش لا تكتمل هيبتها إلا حين تُبنى على أساس من العشق الخالص والأمان المطلق.. يداً بيد، نحو مستقبل صُنع بذكاء لا يُقهر وحب لا ينتهي."لم يفز البطل المثالي، بل انتصر الشرير العبقري الذي عرف كيف يحرك الخيوط من بين الرماد.

العبرة هنا ليست في هزيمة الشر، بل في كيف يمكن للذكاء المظلم والمؤامرة القاتلة أن تصنع إمبراطورية كاملة. لقد أثبت أدهم أن القوانين يضعها الأقوياء، وأن التاريخ لا يرحم الضعفاء، بل يكتبه الشرير الذي يبتسم في النهاية ومعه كل شيء: العرش، القوة، والمرأة التي يحبها".

النهاية 🖤😈

Sep 2, 2026

تَحْتَ القِنَاعِ المَكْسُور

في عالَمٍ مَليءٍ بِالظِّلالِ والأَقْنِعة، هلْ نَحنُ نَعيشُ أ
حقيقتَنا أَمْ نَرتَدي دورًا مُزَيفًا؟
كِتابٌ يَكْشفُ الخُدعَ ويُحرِّرُ الرُّوحَ مِن قُيودِ الزَّيف.
إِقْرأ لِترى ما لا يُرَى.